التمهيد

عصر الإصطخري وترجمته

وفيه فصلان:

الفصل الأول: عصر الإصطخري.

الفصل الثاني: ترجمة الإصطخري.

الفصل الأول:
عصر الإصطخري.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الحالة السياسية.

المبحث الثاني: الحالة العلمية.

المبحث الثالث: الحالة الاجتماعية.

المبحث الأول: الحالة السياسية.

اتفقت المصادر التي ترجمت لأبي سعيد الإصطخري رحمه الله على أنه ولد في عام ٢٤٤هـ. لهذا فسوف تكون دراسة عصره السياسي من عام ٢٤٤هـ إلى وفاته عام ٣٢٨هـ. وهذه المرحلة تعرف بـ"**العصر العباسي الثاني**"[(١)].

وفي هذه الفترة عاصر أبو سعيد الإصطخري كثيراً من خلفاء بني العباس، وفي مقدمة هؤلاء الخلفاء العباسيون الذين جمعتهم وأبا سعيد الإصطخري صلة المناصب والوظائف التي تقلدها في أيامهم.

عاصر أبو سعيد الإصطخري منذ ولادته إلى وفاته أحد عشر خليفة من بني العباس، وهم:

١- المتوكل على الله. (٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٧-٨٦١م).

هو: أبو الفضل، جعفر بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب. أمه أم ولد اسمها شجاع. ولد سنة خمس، وقيل: سبع ومائتين. وبويع في ذي الحجة سنة ٢٣٢هـ/٨٤٧م، بعد وفاة أخيه الواثق. وكان عمره إذ ذاك ٢٦ سنة. وقتل في الخامس من شهر شوال سنة ٢٤٧هـ. وله أربعون سنة. ومدة خلافته ١٤ سنة و١٠ أشهر و٣ أيام. وكانت سيرته حسنة، إذ إنه أظهر الميل إلى السنة، ونصر أهلها، ورفع المحنة عنهم. وقيل: هو أول خليفة تمذهب بمذهب الشافعي[(٢)].

٢- المنتصر بالله. (٢٤٧-٢٤٨هـ/٨٦١-٨٦٢م).

هو: أبو جعفر، وقيل: أبو عبد الله، محمد بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن الرشيد. أمه أم ولد، رومية، اسمها: حبشية. ولد سنة ٢٢٢هـ. وبويع له بعد قتل أبيه في شوال سنة ٢٤٧هـ. وقد خشي الأتراك من المعتز والمؤيد ابني المتوكل من أن يلي أحدهما

---

(١) انظر: الخلافة العباسية للهاشمي ص٣٥٦.

(٢) انظر: تاريخ بغداد ١٦٥/٧، البداية والنهاية ٣١٠/١٠، و٣٤٩/١٠-٣٥٢، تاريخ الخلفاء ص٣٤٦-٣٥٢، الخلافة العباسية للهاشمي ٣٥٩-٣٦١.

الخلافة بعد المنتصر، فيأخذاهم بدم والدهما، لذلك أمروا المنتصر أن يخلعهما من ولاية العهد، فلم يتجرأ المنتصر على الاعتراض، فخلع أخويه المعتز والمؤيد من ولاية العهد الذي عقده لهما المتوكل بعده. مات في خامس ربيع الآخرة سنة ٢٤٨هـ، عن ٢٦ سنة أو دونها، فلم يتمتع بالخلافة إلا أشهراً معدودة، دون ستة أشهر. ومن حسناته أنه أظهر العدل والإنصاف في الرعية، فمالت إليه القلوب مع شدة هيبتهم له. وكان كريماً حليماً[١].

٣- **المستعين بالله**. (٢٤٨-٢٥٢هـ/٨٦٢-٨٦٦م).

هو: أبو العباس أحمد بن محمد المعتصم بن الرشيد. أخو المتوكل. ولد سنة ٢٢١هـ، وأمه أم ولد اسمها: مخارق. لما مات المنتصر بويع له بالخلافة سنة ٢٤٨هـ، وله ٢٨ سنة. واستمر إلى سنة ٢٥١هـ فتنكر له الأتراك. ثم وقعت بينه وبين المعتز وقعات، ودام القتال أشهراً، وكثر القتل، وغلت الأسعار، وعظم البلاء، وانحل أمر المستعين، فخلع المستعين نفسه في أول سنة ٢٥٢هـ. ثم ذبح في ثالث شوال سنة ٢٥٢هـ. وله ٣١ سنة. وذكر أن المستعين سأل من أراد قتله أن يمهله حتى يصلي ركعتين، فأمهله، فلما كان في السجدة الأخيرة قتله وهو ساجد، ودفن جثته في مكان صلاته. وكان المستعين خيّراً فاضلاً، بليغاً، أديباً. وهو أول من أحدث لبس الأكمام الواسعة، فجعل عرضها نحو ثلاثة أشبار، وصغر القلانس، وكانت قبله طوالا[٢].

٤-**المعتز بالله**. (٢٥٢-٢٥٥هـ/٨٦٦-٨٦٩م).

هو: أبو عبد الله محمد، وقيل: الزبير بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن الرشيد. ولد سنة ٢٣٢هـ. وأمه أم ولد رومية، تسمى قبيحة. وبويع له عند خلع المستعين في سنة ٢٥٢هـ، وله ١٩ سنة، ولم يَلِ الخلافة قبله أصغر منه. وفي رجب من أول سنة الخلافة خلع المعتز أخاه المؤيد من العهد، وضربه وقيده، فمات بعد أيام. وكان المعتز مستضعفاً مع الأتراك، فطلبوا منه مالا، ولم يعطهم، فاجتمع الأتراك على خلعه. وأحضروا محمد بن

(١) انظر: تاريخ بغداد ١١٩/٢، البداية والنهاية ٣٥٢/١٠، تاريخ الخلفاء ص٣٥٦-٣٥٧.

(٢) انظر: تاريخ بغداد ٨٤/٥، البداية والنهاية ٢/١١، و١١/١١، تاريخ الخلفاء ص٣٥٨-٣٥٩.

الواثق من بغداد إلى دار الخلافة -وهي يومئذ سامراء[1]-، وكان المعتز قد أبعده إلى بغداد، فسلم المعتز إليه الخلافة، وبايعه. وبعد خمس ليال من خلعه أخذ الملأ المعتز فأدخلوه الحمام، فلما اغتسل عطش، فمنعوه الماء، ثم أخرج، وسقط ميتا. وذلك في شهر شعبان المعظم، سنة ٢٥٥هـ. وكانت خلافته ٤ سنين و٦ أشهر و٢٣ يوما. وهو أول خليفة أحدث الركوب بحلية الذهب، وكان الخلفاء قبله يركبون بالحلية الخفيفة من الفضة[2].

٥- المهتدي بالله. (٢٥٥-٢٥٦هـ/٨٦٩-٨٧٠م).

هو: الخليفة الصالح، أبو إسحاق، وقيل: أبو عبد الله محمد بن هارون الواثق بن المعتصم بن الرشيد. أمه أم ولد، تسمى وردة. ولد في سنة ٢١٩ وقيل: ٢١٥هـ. وبويع بالخلافة لليلة بقيت من رجب سنة ٢٥٥هـ بعد خلع المعتز نفسه بين يديه. وما قبِل بيعته أحد حتى أتي بالمعتز، فقام المهتدي له وسلم له الخلافة. ووقع القتال بينه وبين الأتراك، وقتل من الأتراك يومئذ أربعة آلاف، ودام القتال إلى أن هزم جيش الخليفة، وأمسك به فقتل، وذلك في رجب سنة ٢٥٦هـ. فكانت خلافته سنة إلا خمسة عشر يوما. وكان المهتدي ورعاً، متعبداً، عادلاً، شديد الرغبة في الإصلاح، قويا في أمر الله، بطلاً، شجاعا، لكنه لم يجد ناصراً، ولا معيناً. وكان قد اطرح الملاهي، وحرم الغناء، وحسم أصحاب السلطان عن الظلم، وكان شديد الإشراف على أمر الدواوين، يجلس بنفسه، ويجلس الكُتَّاب بين يديه، فيعملون الحساب. قال الخطيب: "لم يزل المهتدي صائماً منذ جلس للخلافة إلى أن قتل" [3].

---

(١) **سامراء.** لغة: في سر من رأى، مدينة كانت بين بغداد وتكريت على شرقي دجلة. وفيها لغات: سامراء ممدود. وسامرا مقصور. يقال لها: سر من رأى، فخففها الناس. وبها السرداب المعروف في جامعها الذي تزعم الشيعة أن مهديهم يخرج منه، وقد ينسبون إليها بالسرمري.

تقع المدينة على الضفة الشرقية لنهر دجلة وتبعد نحو ١١٨ كم إلى الشمال من العاصمة بغداد. يحدها من الشمال تكريت، ومن الجنوب بغداد، ومن الغرب الرمادي، ومن الشمال الغربي الموصل، ومن الجنوب الشرقي ديالى. انظر: معجم البلدان ١٧٣/٣.

(٢) انظر: تاريخ بغداد ١٢١/٢، البداية والنهاية ١٠/١١، و١٦/١١، تاريخ الخلفاء ص٣٥٩-٣٦٠.

(٣) انظر: تاريخ بغداد ٣٤٧/٣، البداية والنهاية ١٧/١١، و٢٢/١١-٢٣، تاريخ الخلفاء ص٣٦١-٣٦٣.

٦- المعتمد على الله. (٢٥٦-٢٧٩هـ/٨٧٠-٨٩٢م).

هو: أبو العباس، وقيل: أبو جعفر، أحمد بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد. ولد سنة ٢٢٩هـ. وأمه رومية، اسمها: فتيان. بويع بالخلافة في رجب سنة ٢٥٦هـ. ثم إنه استعمل أخاه الموفق طلحة على المشرق، وصير ابنه جعفر ولي عهده، وولاَّه مصر والمغرب. وفي أيامه دخلت الزنج البصرة، وفيها أيضاً ظهرت القرامطة بالكوفة. وفي سنة ٢٧٩هـ ضعف أمر المعتمد جداً؛ لتمكن أبي العباس ابن الموفق من الأمور، وطاعة الجيش له، فجلس المعتمد مجلساً عاماً، وأشهد فيه على نفسه أنه خلع ولده المفوض من ولاية العهد، وبايع لأبي العباس، ولقبه المعتضد. وفي ليلة الاثنين لإحدى عشرة من رجب سنة ٢٧٩هـ مات المعتمد فجأة، وكانت خلافته ٢٣ سنة[(١)].

٧-المعتضد بالله. (٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠٢م).

هو: أبو العباس أحمد بن طلحة الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد. ولد في ذي القعدة سنة ٢٤٢هـ. وأمه أم ولد، اسمها: صواب. وبويع له في رجب سنة ٢٧٩هـ بعد عمه المعتمد، وكان في أيام المعتمد ضعف أمر الخلافة، فلما ولي المعتضد أقام شعارها ورفع منارها. وفي أول سنة استخلف فيها، منع الوراقين من بيع كتب الفلاسفة وما شاكلها، ومنع القصاص والمنجمين من القعود في الطريق.

وفي سنة ٢٨٦هـ ظهر بالبحرين[(٢)] أبو سعيد القرمطي[(٣)]، وقويت شوكته، ووقع القتال بينه وبين عسكر الخليفة، وأغار على البصرة ونواحيها، وهزم جيش الخليفة مرات. ومات الخليفة في ربيع الأول سنة ٢٨٩هـ. وكانت خلافته ٩ سنين و٩ أشهر و١٣ يوما. وكان المعتضد ملكا شجاعاً، مهيباً، ظاهر الجبروت، وافر العقل، شديد الوطأة، من

---

(١) انظر: تاريخ بغداد ٤/٦٠، البداية والنهاية ١١/٢٣-٢٤، تاريخ الخلفاء ص٣٦٣-٣٦٧.

(٢) **البحرين**: كان اسماً لسواحل الخليج العربي، بين عُمان جنوباً، حتى الكويت والبصرة شمالاً، وكانت هجر قصبته، وهي الهُفوف اليوم. وهي الآن منطقة الأحساء (الحسا) بالمملكة العربية السعودية، ويطلق على هذا الإقليم اسم "المنطقة الشرقية". وأما مملكة البحرين حاليا فكانت تسمى دِلمون. انظر: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ص٤٠، أطلس الحديث النبوي ص٦٢.

(٣) وهو والد أبي طاهر سليمان القرمطي الذي سيأتي أنه قلع الحجر الأسود. انظر: تاريخ الخلفاء ص٣٧١.

أفراد خلفاء بني العباس، وكان يقدم على الأسد وحده لشجاعته، وكان ذا سياسة عظيمة، وكانت أيامه طيبة، كثيرة الأمن والرخاء، وسكنت الفتن في أيامه لفرط هيبته. وكان قد أسقط المكوس[1]، ونشر العدل، ورفع الظلم عن الرعية. وكان المعتضد قليل الرحمة حين يأخذه الغضب[2].

٨-المكتفي بالله. (٢٨٩-٢٩٥هـ/٩٠٢-٩٠٨م).

هو: أبو محمد علي بن أحمد المعتضد بن طلحة بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد. ولد في سنة ٢٦٤هـ. وأمه تركية اسمها جيجك. وبويع له بالخلافة في حياة أبيه وهو مريض، يوم الجمعة بعد العصر لإحدى عشرة بقيت من ربيع الآخر سنة ٢٨٩هـ. وحين ولي الخلافة كثرت الفتن وانتشرت في البلاد، وفيها انتشرت القرامطة في الآفاق، وقطعوا الطريق على الحجاج، ووقع القتال بينه وبين القرامطة، فأطفأ الله بعض شرهم.

وتوفي الخليفة المكتفي في ليلة الأحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة ٢٩٥هـ. وكانت خلافته ٦ سنين و٦ أشهر و١٩ يوما. وكانت سيرة المكتفي جميلة، أمر بردِّ المظالم، فأحبه الناس ودعوا له[3].

٩- المقتدر بالله. (٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٨-٩٣٢م).

هو: أبو الفضل جعفر بن المعتضد بالله. ولد في رمضان سنة ٢٨٢هـ. وأمه رومية، وقيل: تركية. ولما اشتد مرض أخيه المكتفي، سأل عنه، فصح عنده أنه احتلم، فعهد إليه، ولم يلِ الخلافة قبله أصغر منه، فإنه وليها وله ١٣ سنة. وقد عزل المقتدر مرتين، وذلك في سنة ٢٩٦هـ من قبل الجند، محتجين بصغره وعدم بلوغه، وولَّوا عبد الله بن المعتز، فلم يتم ذلك. ثم عزلوه في المحرم سنة ٣١٧هـ، وولَّوا أخاه محمد القاهر، فلم يتم ذلك سوى

---

(١) المكوس: مَكَس في البيع من باب ضرب، وماكَس، ومماكَسة ومِكَاسا. والمَكْس: الجباية، وفاعله: مَكَّاس، ثم سمي المأخوذ مَكْساً، تسمية بالمصدر، وجمع على مُكوس. وقد غلب استعمال المكس فيما يأخذه أعوان السلطان ظلماً عند البيع والشراء. انظر: مختار الصحاح ص٥٥٤، المصباح المنير ص٢٩٧.

(٢) انظر: تاريخ بغداد ٤٠٥/٤، البداية والنهاية ٨٦/١١-٩٤، تاريخ الخلفاء ص٣٦٨-٣٧٤.

(٣) انظر: تاريخ بغداد ٣١٦/١١، البداية والنهاية ٩٤/١١-٩٥، و١٠٤/١١-١٠٥، تاريخ الخلفاء ص٣٧٦-٣٧٧.

يومين، ثم رجع إلى الخلافة حتى قتل في سنة ٣٢٠هـ. وله ٣٨ سنة، وكانت مدة خلافته ٢٤ سنة، و١١ شهراً، و١٤ يوما، وكان أكثرَ مدةً ممن تقدَّمه من الخلفاء. وكان المقتدر كثير الصدقة والإحسان إلى أهل الحرمين، وأرباب الوظائف، وكان كثير التنفل بالصلاة والصوم والعبادة. وكانت مدة خلافته فترة اضطراب، وضعف لمركز الخلافة، وتسلط أمراء الأطراف، وتنافس رجال الخليفة فيما بينهم، واختل النظام كثيرا[١].

وكانت علاقةُ الشيخ أبي سعيد الإصطخري -مع الخليفة المقتدر- طيبة، فقد ولاَّه الخليفة قاضياً على سجستان[٢].

١٠- القاهر بالله. (٣٢٠-٣٢٢هـ/٩٣٢-٩٣٤م).

هو: أبو منصور محمد بن المعتضد بالله بن طلحة بن المتوكل. أمه أم ولد، اسمها فتنة. ولي الخلافة بعد مقتل المقتدر سنة ٣٢٠هـ. وفي سنة ٣٢١هـ شغب عليه الجند لخلعه، ولم يتم ذلك، ثم أطلق أرزاق الجند فسكنوا، واستقام الأمر للقاهر، وعظم في القلوب. وفي شهر جمادى الأولى سنة ٣٢٢هـ خلع القاهر، وكان سبب خلعه هو سوء سيرته، وسفكه للدماء، فامتنع من الخلع، فسَمَلوا (فقأوا) عينيه حتى سالتا على خديه، ثم أرسلوه، وقد نالته فاقة وحاجة شديدة. وكانت وفاته في سنة ٣٣٩هـ عن ٥٣ سنة. وكانت مدة خلافته سنة وستة أشهر وسبعة أيام[٣].

وكانت للشيخ أبي سعيد الإصطخري مكانة وثقة عند الخليفة القاهر إذ استفتاه القاهر في الصابئين، فأفتاه بقتلهم؛ لأنه تبين له أنهم يخالفون اليهود والنصارى، ويعبدون الكواكب، فعزم الخليفة على ذلك، ثم تغير رأيه فكف عنهم[٤].

١١- الراضي بالله. (٣٢٢-٣٢٩هـ/٩٣٤-٩٤٠م).

هو: أبو العباس محمد بن المقتدر بن المعتضد بن طلحة بن المتوكل. ولد في رجب سنة ٢٩٧هـ. وأمه أم ولد رومية، اسمها ظَلُوم. بويع بالخلافة بعد عمه القاهر في شهر جمادى

---

(١) انظر: تاريخ بغداد ٢١٣/٧، البداية والنهاية ١٦٨/١١-١٧٠، تاريخ الخلفاء ص٣٧٨-٣٨٥.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء ٢٥٢/١٥، طبقات الشافعية الكبرى ٢٣١/٣.

(٣) انظر: تاريخ بغداد ٣٣٩/١، البداية والنهاية ١٧٨/١١، و٢٢٣/١١، تاريخ الخلفاء ص٣٨٦-٣٩٠.

(٤) انظر: تاريخ بغداد ٢٦٩/٧، سير أعلام النبلاء ٢٥٢/١٥، طبقات الشافعية الكبرى ٢٣١/٣.

الأولى سنة ٣٢٢هـ. وفي سنة ٣٢٥هـ اختل الأمر جداً في خلافته، وصارت البلاد بين خارجي قد تغلب عليها، أو عامل لا يحمل مالاً، وصاروا مثل ملوك الطوائف، ولم يبق بيد الراضي غير بغداد والسواد. وفي شهر ربيع الأول سنة ٣٢٩هـ توفي الراضي، وله إحدى وثلاثون سنة ونصف. وكانت مدة خلافته ست سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام. وكان الخليفة الراضي سمحاً، كريماً، أديباً، شاعراً، فصيحاً، محباً للعلماء، وله شعر مدون، وسمع الحديث من البغوي وغيره[١].

وفي خلافته توفي شيخ الشافعية في بغداد أبو سعيد الإصطخري، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

أبرز سمات هذه المرحلة:

يعتبر عصر خلافة المتوكل العباسي أول مرحلة "العصر العباسي الثاني"، وهو عهد سيطرة الأتراك مع زوال هيبة الخلافة وهبوط مكانة الخليفة[٢].

تتميز الفترة ما بين عام ٢٤٤هـ إلى ٣٢٨هـ من الناحية السياسية بضعف أمر الخلافة، حيث لم يعد أمرها كما كان عليه من حيث قوة الخليفة واستقلاليته، إذ إن الأمراء وأصحاب الوزارة وقادة الجند هم الذين يخلعون الخليفة ويجتمعون على تولية خليفة آخر[٣].

وسبَّب التنافس على الخلافة ويلات عظيمة، وقتل عدة خلفاء بسبب ذلك[٤]، إضافة إلى قِصَر مدة خلافة بعض الخلفاء، فبعضهم لم يمكث إلا سنة[٥]، أو أقل منها[٦]، وهذا ما

---

(١) انظر: تاريخ بغداد ١٤٢/٢، البداية والنهاية ١٧٨/١١، و١٩٦/١١-١٩٨، تاريخ الخلفاء ص٣٩٠-٣٩٣.

(٢) انظر: التاريخ الإسلامي السياسي ١/٣، الخلافة العباسية للهاشمي ص٣٥٦.

(٣) كما حصل للمستعين، والمعتز، والمعتمد، والمقتدر، والقاهر.

(٤) كما حصل لبعض الخلفاء، وقتل منهم: المتوكل، عندما أراد أن يبعد ابنه المنتصر عن ولاية العهد، فاتفق المنتصر مع الأتراك على قتل أبيه، وقتل المنتصر، والمهتدي.

(٥) كما في خلافة المهتدي.

(٦) كما في خلافة المنتصر.

جعل البلاد في تدهور مستمر؛ لأن تطويرها يحتاج إلى خطط مدروسة، ومن ثم تنفيذها وفق قواعد شرعية.

ومن عوامل الضعف أيضاً ظهور كثير من بدع الملاحدة[١]، والزنادقة[٢]، وأصحاب المقالات[٣]، وطوائف المتكلمين[٤]، وغيرهم، مما أدى إلى انقسام المسلمين إلى طوائف يناهض بعضها بعضا، بل يحاول بعضها القضاء على الدولة نفسها.

وعلى الرغم من هذه العوامل، فقد كان للعصر العباسي الثاني ميزاته ومظاهر حضارته، فقد اشتهر فيه كثير من الخلفاء الذين حاولوا إعادة الدولة العباسية إلى ما كانت عليه من قوة ومجد[٥].

وقد كان بعض الخلفاء إذا ولي الأمر يتصرَّف في مملكته دون حكمة، فكان يعطي العهد لمن يشاء، ويخلع من يشاء، ويعزل من يشاء من قواده، ويولي من يشاء، مع ما

---

(١) **الملاحدة**: جمع ملحد: والملحد: هو المائل عن الحق إلى الباطل. يقال: ألحد الرجل، إذا مال عن طريق الحق والإيمان. والإلحاد: مذهب فلسفي يقوم على فكرة عدمية أساسها إنكار وجود الله ﷻ. انظر: معجم مقاييس اللغة ص٩١٤، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ٨٠٣/٢.

(٢) **الزنادقة**: جمع زنديق: والزنديق: هو الذي لا يتمسك بشريعة، ويقول بدوام الدهر، فارسي معرّب. والعرب تعبر عن هذا بقولهم: ملحد أيْ طاعن في الأديان. والزنديق في عرف الفقهاء: هو المنافق الذي يظهر الإيمان ويبطن الكفر. انظر: مختار الصحاح ص١٣٤، النظم المستعذب ٢٦٤/٢، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ١٠٦٥/٢.

(٣) **المقالات**: جمع مقالة، والمقالة: من القول، يقال في اللغة: قال، يقول، قولا، ومقالاً، ومقالة. ويراد بها الكلام القصير في العلم أو المذهب أو الرأي. وتطلق المقالات على المذاهب والآراء والاعتقادات، كما تطلق على الأعمال. وقد صنف في المقالات تصانيف كثيرة منذ العصور الأُوَل، منها مقالات لأهل الملة المحمدية وما انفرد كل واحد منهم بالقول به، ومنها المقالات التي ليس أصحابها من أهل الإسلام، كفلاسفة اليوناني، والهنود، وعبدة الأوثان، وغير ذلك. انظر: النهاية لابن الأثير ٥٠١/٢، لسان العرب ٥٧٦/١١ ، مادة (قول)، مقدمة تحقيق كتاب مقالات الإسلاميين ص٢٨.

(٤) **المتكلمون** أو أهل الكلام: هم الطوائف الذين ارتضوا علم الكلام وقواعده الفلسفية منهجاً في الاستدلال على مسائل الاعتقاد، ومن أشهر فرق المتكلمين: الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتردية وغيرها من الفرق التي اتخذت علم الكلام مسلكاً لها في تأصيل القواعد والأصول الكلامية التي سموها معقولات وقدموها على صحيح المنقول. انظر: الملل والنحل ٨٦/١، البداية والنهاية ٣٦٥/٩ .

(٥) انظر: التاريخ الإسلامي السياسي ١/٣.

حصل من خلعهم أنفسهم. وكان هذا التصرف أحيانا يقع بسبب ضغوط من قبل الجنود والأمراء، حتى عام ٣٢٤هـ إذ استقل أمراء الأطراف بالتصرف فيها، ولم يبق للخليفة غير حكم بغداد[١].

وشهدت هذه الفترة الأحداث السياسية المتنوعة، من الحروب والقتال وغيرها.

وأما الأحداث التي برزت في تلك الفترة، فمنها؛

١- ثورة الزنج[٢]:

دخل الزنج البصرة وأعمالها، وخرَّبوها، وبذلوا في أهلها السيف، وأحرقوا وخرَّبوا وسبَوا، وجرى بينهم وبين عسكر المعتمد عدة وقعات. واستمر القتال مع الزنج ١٤ سنة، من حين تولى المعتمد سنة ٢٥٦هـ إلى سنة ٢٧٠هـ. فقتل فيها رأس الزنج، واسمه بهبوذ، وكان ادعى أنه أرسل إلى الخلق، فرد الرسالة، وأنه مطلع على المغيبات[٣].

---

(١) انظر: البداية والنهاية ١١/١٨٤، تاريخ الخلفاء ص٣٩٢.

(٢) الزِّنج والزَّنج، لغتان: جيل من السودان، وهم الزُّنوج، واحدهم زنجي وزنجي. انظر: القاموس المحيط ص٢٤٦، مختار الصحاح ص٢٤٢(ز ن ج).

وثورة الزنج: هي خروج طائفة من العبيد، بقيادة علي بن محمد الفارسي، وظهر كقائد ديني ومتنبئ، فادعى نسبا علوياً، ولم يكن صادقاً، وإنما كان عسيفا. وقد انضمت إليهم جماعات من العبيد الهاربين من القرى والمدن المجاورة تخلصا من حالتهم، وضيق معاشهم، وكانوا لا يتقاضون من الأجر شيئا، بل كانوا يقتاتون بقليل من الدقيق والتمر والسويق، مما جعلهم إزاء هذه الحالة الاقتصادية والاجتماعية السيئة على أتم الاستعداد للخروج على ولاة أمرهم. انظر: تاريخ الطبري ٥/٤٤٢، البداية والنهاية ١١/١٨، التاريخ الإسلامي السياسي ٣/٢٠٩.

(٣) انظر: تاريخ الخلفاء ص٣٦٣.

٢- **القرامطة**[١]:

في سنة ٢٧٨هـ ظهرت طائفة القرامطة بالكوفة[٢]، ثم استفحل حالهم، وتفاقم الحال بهم.

وفي سنة ٢٨٦هـ ظهر أبو سعيد القرمطي بنواحي البصرة، فالتفَّ حوله بشر كثير، وقويت شوكته جداً، وقتل من حوله من أهل القرى[٣].

وفي محرم سنة ٢٩٤هـ اعترضوا على قافلة حجاج من أهل خراسان[٤]، وهم قافلون من مكة، فقتلوهم عن آخرهم، وأخذوا أموالهم، وسبَوا نساءهم. ولما بلغ الخليفة المكتفي خبر الحجيج وما أوقع بهم القرامطة، جهز إليهم جيشا كثيفاً، فالتقوا معه فاقتتلوا قتالا شديدا جدا، قتل من القرامطة خلق كثير، ولم يبق منهم إلا القليل، وذلك في أول ربيع الأول ٢٩٤هـ[٥].

---

(١) **القرامطة**: أتباع حمدان بن الأشعث، ويلقب بقرمط؛ لقصر قامته وساقيه، أحد دعاة الباطنية وأئمتهم، من أهل الكوفة، وسموا بالباطنية لقولهم في الشريعة؛ بأن لها باطنا غير الظاهر، وقد اعتمد هذه الحركة التنظيم السري العسكري، وهم نوع من الزنادقة الملاحدة، أتباع الفلاسفة من الفرس، الذين يعتقدون نبوة زرادشت ومزدك، يدعون أنه لا غسل من الجنابة، وأن الخمر حلال، ويزيدون في آذانهم: "وأن محمد بن الحنفية رسول الله"، وأن الصوم في السنة يومان: يوم النيروز، ويوم المهرجان. وأن الحج والقبلة إلى بيت المقدس، وأشياء أخرى. انظر: فضائح الباطنية ص١٢، البداية والنهاية ٦١/١١، تاريخ الخلفاء ص٣٦٦-٣٦٧.

(٢) انظر: تاريخ الخلفاء ص٣٦٦.

(٣) انظر: البداية والنهاية ٨١/١١.

(٤) **الخراسان**: بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وليس ذلك منها، إنما هو أطراف حدودها، وتشتمل على أمهات من البلاد، منها نيسابور وهراة ومرو، وهي كانت قصبتها وبلخ وطالقان ونسا وأبيورد وسرخس، وما يتخلل ذلك من المدن التي دون نهر جيحون. وقد فتحت أكثر هذه البلاد عنوة وصلحا، وذلك في سنة ١٣ في أيام عثمان ﷺ بإمارة عبد الله بن عامر بن كريز. وهي الآن تقع في الجنوب الشرقي من دولة إيران. انظر: معجم البلدان ٣٥٠/٢، معجم الأمكنة الواردة ذكرها في صحيح البخاري ص٢٠٥.

(٥) انظر: البداية والنهاية ١٠١/١١.

ولم يقتصر الأمر على هذا فقط، بل اعترضوا حجاج العراق سنة ٣١٢هـ وقتلوا ونهبوا[١]. مما نتج عنه الخوف من الحج، حتى إنه لم يحج أحد من العراق سنة ٣١٤هـ[٢].

وفساد القرامطة لم يقتصر على الحجيج والحرم فقط، بل تعدى ذلك، فكانوا إذا أحسوا بقوة من جانبهم أغاروا على المدن أو القرى، فيعيثون في الأرض فسادا، كما حصل في سنة ٢٩٣هـ عندما دخلوا طبرية[٣]، وفي سنة ٣١١هـ حينما دخلوا البصرة[٤]، وغيرهما.

ومن أخطرها الجريمة النكراء التي ارتكبوها في سنة ٣١٧هـ، وما فعلوه بالمسلمين في بيت الله الحرام، وفي الشهر الحرام، عندما دخلوا مكة بزعامة أبي طاهر القرمطي[٥] يوم التروية، -الذي هو من أشرف الأيام-، فقتلوا في رحاب مكة وشعابها، وفي المسجد الحرام، وفي جوف الكعبة، من الحجاج خلقا كثيرا، وطرحوا القتلى في بئر زمزم، وجلس أميرهم أبو طاهر على باب الكعبة، والرجال تصرع حوله، والسيوف تعمل في الناس في المسجد الحرام، وهو يقول: أنا الله وبالله أنا، أنا أخلق الخلق وأفنيهم أنا. فكان الناس يفرون منهم فيتعلقون بأستار الكعبة، فلا يجدي ذلك عنهم شيئا، بل يقتلون وهم كذلك، وضرب الحجر الأسود بدبوس فكسره، ثم اقتلعه. وأقام بمكة أحد عشر يوما، ثم رحل هو

---

(١) انظر: البداية والنهاية ١٩٤/١١.

(٢) انظر: البداية والنهاية ١٥٤/١١.

(٣) انظر: البداية والنهاية ١٠٠/١١.

والطبرية: مدينة من بلاد الأردن بالشام، بنى هذه المدينة طيباريوس أحد ملوك الروم فنسب إليه. وفتحت طبرية على يد شرحبيل بن حسنة في سنة ٣١هـ صلحا على أنصاف منازلهم وكنائسهم. وقيل: إنه حاصرها أياما ثم صالح أهلها على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم. انظر: معجم البلدان ١٣/٤، الروض المعطار ص٣٨٥.

(٤) انظر: البداية والنهاية ١٤٧/١١.

(٥) هو أبو طاهر الجنابي، سليمان بن أبي سعيد الجنابي القرمطي، ولي أمر القرامطة بعد مقتل أبيه سنة ٣٠١هـ. ومات أبو طاهر في سنة ٣٣٢هـ. انظر: البداية والنهاية ٢٠٨/١١.

وجنوده، ومعهم الحجر الأسود، وبقى الحجر الأسود عندهم أكثر من عشرين سنة، حتى أعيد في سنة ٣٣٩هـ[١].

(١) انظر: البداية والنهاية ١١/١٦٠، تاريخ الخلفاء ص٣٨٣.

المبحث الثاني: الحالة العلمية.

يُعَدُّ القرنان الثالث والرابع الهجريان من أشهر قرون الثقافة الإسلامية إنتاجاً وثروة علمية، وهذا نتيجة ما غُرس في القرن الأول على يد أصحاب النبي ﷺ، وسُقي على أيدي التابعين، ومن بعدهم من العلماء والفقهاء.

قال ابن القيم[1] رحمه الله: "ثم جاءت الأئمة من القرن الرابع المفضل في إحدى الروايتين، كما ثبت في الصحيح[2]... فسلكوا على آثارهم اقتصاصاً، واقتبسوا هذا الأمر عن مشكاتهم اقتباسا، وكان دين الله سبحانه وتعالى أجل في صدورهم، وأعظم في نفوسهم من أن يقدموا عليه رأيا أو معقولا أو تقليدا أو قياسا، فطار لهم الثناء الحسن في العالمين، وجعل الله سبحانه وتعالى لهم لسان صدق في الآخرين"[3].

وفي هذا العصر الذهبي، ولد أبو سعيد الإصطخري، وترعرع وتربى على أيدي العلماء الأجلاء، حتى وصل إلى ما وصل إليه من الناحية العلمية والعملية.

وبالرغم من مظاهر الضعف والتدهور التي انتابت الخلافة العباسية من الناحية السياسية، لكن هذا العصر تميز بنهضة علمية ثقافية فكرية قوية. وقد اعتنى بعض الخلفاء بشأن العلم والعلماء، وفي سنة ٢٣٤هـ استقدم الخليفة المتوكل على الله الفقهاء والمحدثين

---

(١) **ابن القيم**: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعيد الزرعي ثم الدمشقي، المعروف بابن قيم الجوزية، فقيه، أصولي، مجتهد، تفقه ولازم شيخ الإسلام ابن تيمية، وسجن معه في قلعة دمشق. له تصانيف كثيرة، من أشهرها: "إعلام الموقعين"، و"زاد المعاد"، و"اجتماع الجيوش الإسلامية"، وغيرها. انظر : البداية والنهاية ٢٣٤/١٤، طبقات المفسرين للداوودي ٩٣/٢.

(٢) عن عمران بن حصين رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: ((**خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**)) قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثا). رواه البخاري في الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ...، ص٧٤٧ رقم(٣٦٥٠)، وروى مسلم في الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ١٥٥٩/٤، رقم(٢٥٣٥). قال الحافظ فتح الباري ١٠/٧: "ووقع في حديث جعدة بن هبيرة عند ابن أبي شيبة والطبراني إثبات القرن الرابع، ولفظه: "**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الآخرون اردأ**)) ورجاله ثقات، إلا أن جعدة مختلف في صحبته، والله اعلم".

(٣) إعلام الموقعين ٦/١.

إلى سامراء[1]، وأمر بتوزيع الجوائز عليهم وأكرمهم، وأجريت عليهم الأرزاق، وأمرهم أن يجلسوا للناس، وأن يحدثوا بأحاديث الصفات والرؤية، ونهى عن القول بخلق القرآن[2].

وقد عاش في هذا العصر أيضاً جُلّ المفسرين[3]، والمحدثين[4]، والفقهاء[5]، واللغويين[6]، والمؤرخين[7]، وغيرهم.

---

(١) أصبحت سامراء عاصمة الخلافة بعد بغداد، وظلت ما يقرب من خمسين عاما، وأصبحت مقراً للنفوذ التركي. انظر: الخلافة العباسية للهاشمي ص٣٥٦.

(٢) انظر: تاريخ الخلفاء ص٣٤٦، الخلافة العباسية للهاشمي ص٣٥٩.

(٣) **فمن المفسرين**: شيخ المفسرين ابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، والزجاج إبراهيم بن سري (٣١١هـ).

(٤) **ومن المحدثين**: شيخ المحدثين محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، ومسلم بن الحجاج (ت٢٦١هـ)، وأبو داود (ت٢٧٥هـ)، وابن ماجة (ت٢٧٥هـ)، وأبو حاتم الرازي، محمد بن إدريس (٢٧٧هـ)، وأبو عيسى الترمذي (٢٧٩هـ)، والنسائي (ت٣٠٣هـ). وابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت٣١١هـ)، وغيرهم.

(٥) **ومن الفقهاء**: أبو بكر أحمد بن محمد بن هانئ، تلميذ الإمام أحمد (ت٢٦٠هـ)، وإسماعيل بن يحيى المزني، صاحب الشافعي (ت٢٦٤هـ)، وإبراهيم بن هانئ، أبو إسحاق النيسابوري (ت٢٦٥هـ)، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم، فقيه مصر، من أصحاب مالك (ت٢٦٨هـ)، وداود بن علي الأصبهاني الظاهري (ت٢٧٠هـ)، وأبو بكر أحمد بن محمد المروزي، شيخ الحنابلة (ت٢٧٥هـ)، وأبو عبد الله محمد بن نصر المروزي (ت٢٩٤هـ)، وأبو بكر بن محمد بن إبراهيم بن المنذر (ت٣١٨هـ)، وغيرهم.

(٦) **ومن اللغويين**: المفضل بن سليمان الضبي (ت٢٥٠)، وأبو عمرو الهروي (ت٢٥٥هـ)، وأبو حاتم السجستاني (ت٢٥٥)، وأبو حنيفة الدينوري (ت٢٨٢)، وأبو العباس المبرد (ت٢٨٥هـ). والنحاس أبو العباس المازني (ت٢٤٩هـ)، وأبو العباس ثعلب (ت٢٩١هـ)، وابن كيسان، محمد بن أحمد (ت٢٩٩هـ). ومحمد بن القاسم أبو بكر ابن الأنباري (ت٣٢٨هـ)، وغيرهم.

(٧) **ومن المؤرخين**: الزبير بن بكار (ت٢٥٦هـ)، وعمرو بن شبة (ت٢٦٢هـ) ، واليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب (ت٢٧٨هـ)، والبلاذري أحمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ).

وكانت بغداد على وجه الخصوص آنذاك موطن العلم والعلماء حتى إن الحافظ ابن كثير[1] -رَحِمَهُ اللَّهُ- لما ذكر إجماع علماء بغداد على قتل الحلاَّج[2] قال: "وكان علماء بغداد إذ ذاك هم الدنيا"[3].

وقد احتضنت بغداد قبل هذا العصر كثيراً من العلماء المجتهدين، منهم الإمام أبو حنيفة، النعمان بن ثابت (ت١٥٠هـ)، وإمام أهل السنة أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ) رحمة الله عليهم.

وسأذكر بعضاً من مشاهير العلماء في بغداد الذين عاصرهم أبو سعيد الإصطخري؛ لقربهم من حياة المترجَم، وإن لم تذكر المصادر أن لهم صلةً به. وأما شيوخه وأقرانه الذين لقيهم وتلاميذه فسأرجئ ذكرهم إلى حين ذكر شيوخه وأقرانه وتلاميذه في مبحث خاص لهم.

ومن هؤلاء العلماء:

١) ابن جرير الطبري.

هو: الإمام المفسر، الفقيه المجتهد، المؤرخ، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، ولد سنة ٢٢٤هـ. صنف التفسير "جامع البيان" قلَّ أن تجد له نظيراً، و"تاريخ الأمم والملوك"، وغيرهما من المصنفات النافعة، في الأصول والفروع، ومن أحسن ذلك "تهذيب الآثار"، لكنه لم يتمه. وقد روي عنه أنه مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم أربعين ورقة. استوطن ابن جرير بغداد وأقام بها إلى حين وفاته سنة ٣١٠هـ. وكان من أكابر الأئمة العلماء يحكم بقوله ويرجع إلى معرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم

---

(١) **ابن كثير**: إسماعيل بن عمر بن كثير، الحافظ، عماد الدين، أبو الفداء، الدمشقي. وكان في زمانه قدوة العلماء والحفاظ وعمدة أهل المعاني والألفاظ. وأخذ الكثير عن ابن تيمية. ومن تصانيفه: "تفسير القرآن العظيم"، و"البداية والنهاية"، و"طبقات الفقهاء الشافعيين"، وغيرها. توفي في شعبان سنة ٧٧٤هـ. انظر: طبقات الحفاظ ص٥٣٣، طبقات المفسرين للداوودي ١١١/١.

(٢) **الحلاَّج**: الحسين بن منصور بن محمي الحلاج أبو مغيث، كان جده مجوسياً، وله مقالات كفرية تدل على إلحاد وزندقة. وقد أجمع العلماء على قتله، فقتل سنة ٣٠٩هـ. انظر: البداية والنهاية ١٣٢/١١.

(٣) البداية والنهاية ١٣٩/١١.

يشاركه فيه أحد من أهل عصره[1].

٢) أبو حفص ابن الوكيل.

هو: أبو حفص، عمر بن عبد الله بن موسى، المعروف بابن الوكيل، ويعرف أيضا بالباب الشامي، منسوب إلى باب الشام وهي إحدى المحال الأربعة بالجانب الغربي من بغداد. من أئمة أصحاب الوجوه، وكان فقيها جليلا، من نظراء ابن سريج، وكبار المحدثين والرواة، وأعيان النقلة، تفقه على الأثماطي، توفي ببغداد بعد العشرة وثلاثمائة[2].

٣) أبو الحسن الأشعري.

هو: علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري، من ولد أبي موسى الأشعري، قدم بغداد وأخذ الحديث عن زكريا بن يحيى الساجي وتفقه بابن سريج. وكان يجلس في حلقة الشيخ أبي إسحاق المروزي، وقد كان الأشعري معتزليا[3]، فرجع عنه بالبصرة فوق المنبر، ثم أظهر فضائح المعتزلة وقبائحهم. ثم انتحل مذهب ابن كُلاَّب[4]، ثم رجع عنه كذلك إلى مذهب السلف. وله من الكتب: "الموجز"، و"مقالات الإسلاميين"، و"الإبانة" وغيرها. وحكي أن له خمسة وخمسين مصنّفا، ولد سنة ٢٧٠هـ، وقيل: سنة ٢٦٠هـ، ومات في بغداد، ودفن بها سنة ٣٢٤هـ، وقيل: ٣٣٠هـ.[5].

---

(١) انظر: طبقات الفقهاء الشافعية للعبادي ص٥٢، تاريخ بغداد ١٦٢/٢، البداية والنهاية ١٤٥/١١، طبقات المفسرين للداوودي ١١٠/٢.

(٢) انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٤٧٠/٣، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٩٧/١.

(٣) **المعتزلة**: هم أتباع واصل بن عطاء الذي كان بينه وبين الحسن البصري رحمه الله خلاف في القدر، وفي المنزلة بين المنزلتين، وانضم إليه عمرو بن عبيد في بدعته، فطردهما الحسن عن مجلسه، فاعتزلا إلى سارية من سواري مسجد البصرة، فقيل لهما ولأتباعهما: "معتزلة"؛ لاعتزالهما قول الأمة في دعواهما: أن الفاسق من أمة الإسلام لا مؤمن ولا كافر. انظر: الفرق بين الفرق ص٢٠.

(٤) **ابن كلاب**: أبو محمد، عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان البصري، رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه، صاحب التصانيف في الرد على المعتزلة، وربما وافقهم. أخذ عنه الكلام داود الظاهري. وكان يلقب كلابا؛ لأنه كان يجر الخصم إلى نفسه ببيانه وبلاغته. وأصحابه هم الكلابية. وكان يعتقد في إثبات الصفات العقلية السبعة لله؛ من العلم والحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام، وتأويل الصفات الخبرية، كالوجه واليدين والقدم والساق ونحو ذلك. وهو مذهب الأشعري في دوره الثاني. انظر: سير أعلام النبلاء ١٧٤/١١.

(٥) انظر: تاريخ بغداد ٣٤٦/١١، البداية والنهاية ١٨٧/١١، طبقات الشافعية للإسنوي ٤٧/١.

٤) أبو بكر الخصاف.

هو: أحمد بن عمرو، وقيل: عمر بن مُهَير، وقيل: مهران، الشيباني، الحنفي. حدَّث عن أبي داود الطيالسي، ومسدد بن مسرهد، والقعنبي، وعلي بن المديني وجماعة. وكان فاضلا، فارضا حاسبا، عارفا بمذهب أصحابه. وكان مقدما عند المهتدي بالله، وصنف للمهتدي كتابا في الخراج، فلما قتل المهتدي نهب الخصاف، وذهب بعض كتبه. وله من المصنفات "كتاب أدب القاضي"، و"كتاب النفقات على الأقارب"، و"أحكام الوقف"، وغيرها. وكان زاهدا ورعا يأكل من كسب يده. مات ببغداد سنة ٢٦١هـ.[١].

٥) أبو العباس البرتي الحنفي.

هو: أحمد بن محمد بن عيسى بن الأزهر البرتي القاضي، الفقيه، الحافظ. قال الخطيب: كان ثقة حجة، يذكر بالصلاح والعبادة. تفقه على أبي سليمان موسى الجوزجاني، وصنف "المسند"، وولي القضاء في أحد الجانبين من بغداد، والجانب الآخر إلى إسماعيل بن إسحاق، ثم استعفى في أيام المعتمد، واشتغل بالعبادة حتى مات سنة ٢٨٠هـ.[٢].

٦) إسماعيل القاضي، شيخ المالكية.

هو: أبو إسحاق، إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد، الأزدي، أصله من البصرة، واستوطن بغداد، سمع من القعنبي، وعلي بن المديني، وأبي بكر بن أبي شيبة، وغيرهم. وكان فاضلا عالما متفننا فقيها على مذهب مالك، شرح مذهبه ولخصه واحتج له، وصنف "المسند" و"علوم القرآن"، وغيرهما. وبه تفقه أهل العراق من المالكية. وكان من نظراء المبرد في علم كتاب سيبويه، وكان المبرد يقول: لولا اشتغاله برئاسة الفقه والقضاء لذهب برئاستنا في النحو والأدب. ولي القضاء في أيام المتوكل، ثم عزل، ثم ولي وصار مقدم القضاة. كانت وفاته في ليلة الأربعاء، شهر ذي الحجة سنة ٢٨٢هـ.[٣].

---

(١) انظر: الجواهر المضيئة ص٨٧-٨٨، تاج التراجم ص٩٧، طبقات الفقهاء ص١٤٦.

(٢) انظر: تاريخ بغداد ٦١/١١، الجواهر المضيئة ص١١٥، تاج التراجم ص١٢٣، طبقات الفقهاء ص١٤٦.

(٣) انظر: تاريخ بغداد ٢٨٤/٦، الديباج المذهب ص٩٣، البداية والنهاية ٧٢/١١.

٧) **القاضي أبو عمر المالكي.**

هو: محمد بن يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن حماد بن زيد، أصله من البصرة، وسكن بغداد، وتقلد القضاء فيها، ومعاملاتها في سائر البلاد، كان من أئمة الإسلام علماً ومعرفة، وفصاحة. تفقه بإسماعيل بن إسحاق القاضي، روى عنه أبو الحسن الدارقطني، وعليه تفقه أبو بكر الأبهري وغيره، وكان يناظر بين يديه أئمة المذاهب، كان ثقة فاضلا، وحمل الناس عنه علما واسعا، من الحديث، وكتب الفقه التي صنفها إسماعيل، وقطعة من التفسير، وعمل مسندا كبيرا، قرأ أكثره على الناس، ولم ير الناس ببغداد أحسن من مجلسه، وكان العلماء وأصحاب الحديث يتجملون بحضور مجلسه. توفي أبو عمر في رمضان سنة ٣٢٠هـ. وسنّه ٧٧ سنة[١].

٨) **أبو إسحاق الحربي.**

هو: إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير بن عبد الله بن رستم. كان إماما في العلم، رأسا في الزهد، عارفا بالفقه بصيرا بالأحكام، حافظا للحديث. تخرج بأحمد بن حنبل، وروى عنه كثيرا. وصنف كتبا كثيرة، منها: غريب الحديث، ودلائل النبوة، وغيرهما. قال الدارقطني: كان إماما، وكان يقاس بأحمد بن حنبل في علمه وزهده وورعه. وقد بعث إليه الخليفة المعتضد في بعض الأحيان بعشرة الآف درهم، فأبى أن يقبلها. مات ببغداد في ذي الحجة سنة ٢٨٥هـ.[٢].

٩) **أبو بكر الخلال.**

هو: أحمد بن محمد بن هارون، أبو بكر، المعروف بالخلال، البغدادي. الإمام العلامة، الحافظ الفقيه، شيخ الحنابلة وعالمهم، له من التصانيف: الجامع، والعلل، والسنة، والطبقات، والعلم، وتفسير الغريب، والأدب، وألفاظ أحمد، ولم يكن قبله للإمام مذهب مستقل حتى تتبع هو نصوص أحمد ودونها وبرهنها بعد الثلاث مائة. قال الخطيب: جمع

---

(١) انظر: تاريخ بغداد ٤٠١/٣، الديباج المذهب ص٢٤١-٢٤٢، البداية والنهاية ١٧١/١١.

(٢) هو: انظر: تاريخ بغداد ٢٧/٦، طبقات الحنابلة ٨٦/١-٩٣، سير أعلام النبلاء ٣٥٧/١٣، البداية والنهاية ٧٩/١١.

الخلال علوم أحمد وتطلبها وسافر لأجلها وكتبها وصنفها كتبا لم يكن فيمن ينتحل مذهب أحمد أحد أجمع لذلك منه. سمع من سعدان بن نصر، وأحمد بن منصور الرمادي. توفي يوم الجمعة ليومين خليا من شهر ربيع الآخر سنة ٣١١هـ.[١].

هذه نماذج لبعض مشاهير العلماء في هذا العصر الذي عاش فيه صاحب الترجمة أبو سعيد الإصطخري.

ويقال: إنه بانتهاء هذا العصر -وقد حدده بعض العلماء بنهاية سنة ٣٢٠هـ- انتهى عصر الاجتهاد المطلق. وبعد ذلك سد الناس باب الاجتهاد؛ لعجزهم عن بلوغ رتبته، وخشية من إسناد ذلك لغير أهله، ممن لا يوثق برأيه، أو بدينه، فصرحوا بالعجز، والإعواز، وردوا الناس إلى تقليد الأئمة، بل اكتفوا بنقل مذاهبهم وعمل كل بمذهب من قلده منهم. ومن ادعى الاجتهاد رد ونكص على عقبه ومنع تقليده[٢].

ولعل هذا السد من باب السياسة الشرعية التي تعالج شأناً خاصاً، أو أمراً مؤقتاً، أو فوضى اجتهادية قائمة بسبب ادعاء غير الأكفاء الاجتهاد، فإذا زال الموجب لما سبق، وجب العود إلى أصل الحكم، وهو فتح باب الاجتهاد، إذ لا دليل أصلاً على سد باب الاجتهاد، وأن باب الاجتهاد مفتوح لكل ذي بصيرة في دينه، بشروطه وضوابطه؛ حتى لا يحرم إنسان من التدبر والنظر، وحرية الفكر، وإعمال مواهبه[٣].

وهذا ما أكده كثير من العلماء، قال السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ[٤]: "فصل: الاجتهاد لم ينقطع. ذكر ذاكر أن الاجتهاد قد انقطع من مائتي سنة. وهذا كلام من لا علم له بطبقات العلماء، ولا وقف على تراجمهم"[٥].

---

(١) انظر: تاريخ بغداد ١١٢/٥، طبقات الحنابلة ١٢/٢-١٥، سير أعلام النبلاء ٢٩٧/١٤-٢٩٨، البداية والنهاية ١٤٨/١١.

(٢) انظر: خلاصة تأريخ التشريع للطريقي ص٩١.

(٣) انظر: أصول الفقه للزحيلي ١٠٨٥/٢-١٠٨٦

(٤) **السيوطي**: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، السيوطي، إمام، حافظ، مؤرخ، أديب، فقيه. صاحب التصانيف الكثيرة المشهورة، منها: "الإتقان في علوم القرآن"، و"الأشباه والنظائر"، وطبقات الحفاظ"، وغيرها. ولد سنة ٨٤٩هـ. وتوفي سنة ٩١١هـ. انظر: شذرات الذهب ٧٤/١٠، البدر الطالع ٣٢٤/١.

(٥) تقرير الاستناد في تفسير الاجتهاد ص٦٣. وانظر: إعلام الموقعين ٧/١، حجة الله البالغة ١٥٢/١-١٥٣.

المبحث الثالث: الحالة الاجتماعية.

الحالة الاجتماعية في هذا العصر قد تقدمت تقدما كبيراً، وذلك بما أنعم الله عليهم من آلائه الجسيمة، وقد اصطبغت في معظم حالاتها بالصبغة الأجنبية -الفرس والروم-، بما فيها من التقدم والحضارة، وترف وسرف وزينة ومباهج، وكانت قصور الخلفاء والملوك والأمراء والوزراء وكبار رجال الدولة مضرب المثل في رونقها وبهائها، كما امتازت بفخامة بنائها، واتساعها، وما يكتنفها من حدائق وأشجار متكاثفة، كما ازدانت بالمناضد الثمينة والزهريات الخزفية والتربيعات المرصعة والمذهبة[1].

ونقف وقفة في قصور المتوكّل، وقد ابتدع المتوكل نوعاً من القصور يسمى "الحيري"، ينقسم ثلاثة أقسام، وأوسطها باب أكبر، وإلى جانبه بابان صغيران، وكان هذا الخليفة يتخذ في طريق الوصول إلى قصره ثلاثة أبواب فخمة يدخل منها الفارس برمحه. وحذا الناس حذو المتوكل في هذا النوع من البناء. ومن أشهر هذه القصور "قصر التاج" الذي وضع أساسه الخليفة المعتضد من الجانب الشرقي من دجلة.

وكانت قصور الخلفاء أشبه بمدن كبيرة لاتساعها، ويشتمل على دور وبساتين ومسطحات تظللها الأشجار، كما كانت تشتمل على قاعات ذات قباب وأروقة، ويزيد في جمال هذه القصور البرك والأنهار الجارية[2].

ونقف أيضاً في موكب المقتدر حين قدمت رسل ملك الروم بهدايا، وطلبت عقد هدنة، فعمل المقتدر موكبا عظيما، فأقام العسكر وصفَّهم بالسلاح -وهم مائة وستون ألفا- من باب الشماسية إلى دار الخلافة، وبعدهم الخدام وهم سبعة آلاف خادم، ويليهم الحجاب وهم سبعمائة حاجب، وكانت الستور التي نصبت على حيطان دار الخلافة ثمانية وثلاثين ألف ستر من الديباج، والبسط اثنين وعشرين ألفا، إلى غير ذلك[3].

---

(١) انظر: التاريخ الإسلامي السياسي ٤٠٢/٢، ٤٢٩/٣.

(٢) انظر: معجم البلدان ٣/٢، التاريخ الإسلامي السياسي ٤٣٥/٣.

(٣) انظر: تاريخ الخلفاء ص٣٨١.

وكان الشعب يتألف في ذلك العصر من أربعة عناصر رئيسية، هي: العرب، والفرس، والأتراك، والمغاربة[١].

وكان الرقيق يكوّنون طبقة كبيرة من طبقات المجتمع آنذاك، إذ كان اتخاذ الرقيق منتشراً انتشارا كبيراً، ولم ينظر الخلفاء العباسيون إلى الرقيق نظرة امتهان وازدراء، إذ إن كثيراً منهم كانت أمهاتهم من الرقيق[٢].

ومن طبقات الشعب في هذا العصر أهل الذمة -اليهود والنصارى- وكانوا يتمتعون بكثير من ضروب التسامح الديني، إذ كانوا يقيمون شعائرهم الدينية في ديارهم وبِيَعهم[٣] خارج مدينة بغداد، في أمن ودعة، مما يدل على أن الخلفاء العباسيين كانوا على جانب كبير من التسامح الديني مع أهل الذمة، وهذا من تعاليم ديننا الحنيف[٤].

ورام بعض الخلفاء تمييز أهل الذمة، وخاصة في عهد الخليفة المقتدر ٢٩٦هـ، إذ أمر بأن لا يلي أحد من اليهود والنصارى شيئاً من دواوين الحكومة، ولا يستخدمهم الناس، وأمروا بلباس خاص، حتى يتميزوا عن غيرهم[٥].

وأما من حيث انقسام المجتمع في المذهب والديانة، فقد كان المجتمع منقسماً إلى أهل السنة والجماعة، وهم السواد الأعظم في المجتمع[٦]، وهناك فرق الشيعة[٧]، وفرق الملاحدة والزنادقة.

---

(١) انظر: التاريخ الإسلامي السياسي ٣٩٨/٢، ٤٢٢/٣.

(٢) وهذا كما مر بنا، كثير من الخلفاء كانت أمهاتهم أمهات أولاد. وانظر: التاريخ الإسلامي السياسي ٣٩٩/٢، ٤٢٤/٣.

(٣) البِيْعَة: كنيسة للنصارى. انظر: مختار الصحاح ص٦٢.

(٤) انظر: التاريخ الإسلامي السياسي ٣٩٧/٢، ٤٢٥/٣.

(٥) انظر: تاريخ الخلفاء ص٣٧٩.

(٦) المقصود بأهل السنة في هذا الاصطلاح على المعنى العام الذي يدخل فيه جميع المنتسبين إلى الإسلام، وهم من عدا الرافضة. وهذا في اصطلاح العامة، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "ولهذا كانوا -يعني الرافضة- هم المشهورين عند العامة بالمخالفة للسنة. فجمهور العامة لا تعرف ضد السني إلا الرافضي. فإذا قال أحدهم: أنا سني، فإنما معناه: لست رافضياً". انظر: مجموع الفتاوى ٣٥٦/٣.

(٧) **الشيعة**: هم الذين شايعوا علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الخواص، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، إما جلياً وإما خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عن أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده. وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة، وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين، لا يجوز للرسل عليهم الصلاة والسلام إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله. انظر: الملل والنحل ١٤٦/١، مقالات الإسلاميين ٦٥/١، الفرق بين الفرق ٢١.

وأما من الناحية الاجتماعية والصحية، فإن المجتمع بوجه عام كان في صحة وعافية، ولكن قد نتج عن كثرة الحروب والقتال ظهور الوباء، وتفشي الأمراض، كما حدث أعقاب القتال مع الزنج، وما حدث في سنة ٣٠٠هـ عندما انتشرت الأمراض والأسقام ببغداد، ومات كثير من الناس(١).

وأما من الناحية الاقتصادية، فقد كان المجتمع في يسر ورخاء، ولكن قد حصل ضيق المعاش، وغلاء الأسعار، وقلة الأرزاق في بعض الأوقات، كما حدث في سنة ٢٦٥هـ، وسنة ٣٢٣هـ(٢)، ونتج من ضيق العيش خروج بعض الفئات على ولاة الأمور، كما مر بنا في ثورة الزنج.

وأما من الناحية الخلقية والقيم، فكان يسود المجتمع في الغالب الصلاح والتقى والهدى، ولم يخل كذلك من ظهور الضلال والفساد، كما مر بنا أن بعض الناس غرقوا في الفساد الخُلقي، والبعض الآخر كان مشهوراً بالصلاح والتقى.

وهذا التغاير في المجتمع أمر من طبيعة الشعوب، حينما تطغى ناحية، تنشأ وتوجد ناحية أخرى ضدها، كرد فعل في المجتمع.

وعاش الشيخ أبو سعيد الإصطخري رحمه الله في هذه البيئة، ولم يتأثر بما كان فيها من الفساد، ولا بالتيارات المختلفة، شأنه في هذا شأن العلماء الأجلاء الذين عاشوا في هذا العصر، وفي غيره من العصور، ولعلنا نوضح الجوانب المختلفة عن حياته في الفصل القادم إن شاء الله تعالى.

---

(١) انظر: البداية والنهاية ١١٨/١١، تاريخ الخلفاء ص٣٦٣.

(٢) يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: "ثم دخلت سنة ستين ومائتين، فيها وقع غلاء شديد ببلاد الإسلام كلها، حتى أجلى أكثر أهل البلدان منها إلى غيرها، ولم يبق بمكة أحد من المجاورين حتى ارتحلوا إلى المدينة، وغيرها من البلاد، وخرج نائب مكة منها، وبلغ كُرُّ * الشعير ببغداد مائة وعشرين دينارا، واستمر ذلك شهورا". البداية والنهاية ٣١/١١. وانظر: ١٨٢/١١، تاريخ الخلفاء ص٣٥٤.

* الكُرُّ: جمع أكرار، مكيال لأهل العراق قدره: ٧٢٠ صاعا =٨٤٠ ، ١٥٦٣ كيلو غراما. انظر: معجم لغة الفقهاء ص٣٧٩.

الفصل الثاني:
ترجمة أبي سعيد الإصطخري

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: اسمه نسبه وولادته وصفاته.

المبحث الثاني: نشأته وطلبه للعلم، ورحلاته، وشيوخه، وأقرانه، وتلاميذه.

المبحث الثالث: مكانته العلمية، وآثاره العلمية، وعقيدته، ووفاته.

المبحث الأول: اسمه ونسبه وولادته وصفاته[1]. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه.

اسمه ونسبه: هو الحسن بن أحمد بن يزيد بن عيسى بن الفضل بن بشَّار بن عبد الحميد بن عبد الله بن هانئ بن قَبيصة بن عمرو بن عامر[2].

كنيته: أبو سعيد.

اتفقت المصادر التي ترجمت للشيخ الحسن بن أحمد على أنه يكنى بـــ"أبي سعيد"[3]. و لم تُشِر تلك المصادر إلى سبب تكنيته بذلك، بل و لم أقف على أي معلومات مفصلة عن أسرته، لذا لم يظهر لي وجه تكنيته بأبي سعيد، ولعل السبب أن أحد أبنائه اسمه "سعيد"، والله أعلم.

---

(١) **مصادر ترجمته:** الاجتهاد وطبقات مجتهدي الشافعية ص١٣٧، أصول الفقه تاريخه ورجاله ص١٠٨، الأعلام للزركلي ١٧٩/٢، الأنساب للسمعاني ٢٨٦/١، البداية والنهاية لابن كثير ١٩٣/١١، تاريخ الإسلام للذهبي ٢٢٦/٢٤رقم(٣٧٩)، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٢٦٨/٧، تهذيب الأسماء واللغات للنووي ٢٣٧/٢، دول الإسلام للذهبي ص١٨٠، ديوان الإسلام لابن الغز ١٣٦/١رقم(١٩٠)، سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٥٠/١٥، شذرات الذهب لابن العماد ٣١٢/٢، طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي ٢٣٠/٣، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١٠٩/١، طبقات الشافعية لابن هداية الله ص٢٠١، طبقات الشافعية للإسنوي ٣٤/١، طبقات الفقهاء الشافعية للعبادي ص٦٦، طبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير ٢٢٧/١، طبقات الفقهاء للشيرازي ص١١٩، العبر في خبر من غبر للذهبي ٢٩/٢، العقد المذهب لابن الملقن ٤٥، الفتح المبين في طبقات الأصوليين ١٨٩/١، الفهرست لابن النديم ص ٣٠٠، كشف الظنون لحاجي خليفة ٤٧/١، اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير ٥٦/١، المدخل إلى مذهب الإمام الشافعي ص٣٣٨، مرآة الجنان لليافعي اليمني ٢٩٠/٢، معجم الأصوليين لمحمد مظهر بقا ٣٧/٢، معجم البلدان لياقوت الحموي ٢١١/١، معجم المؤلفين لكحالة ٥٣٧/١، المنتظم لابن الجوزي ٣٠٢/٦، النجوم الزاهرة لابن تغري بردى ٣٠٧/٣، الوافي بالوفيات للصفدي ٢٨٧/١١، وفيات الأعيان لابن خلكان ٧٤/٢.

(٢) انظر: تاريخ بغداد ٢٦٨/٧، طبقات الشافعية الكبرى ٢٣٠/٣.

(٣) انظر: تاريخ بغداد ٢٦٨/٧، طبقات الفقهاء ص١١٩.

لقبه: لم أقف على لقب خاص له، ولم يشر أصحاب كتب الطبقات، أو التاريخ إلى ذلك، سوى ما ذكر بعد اسمه: أبو سعيد الإصطخري "**الفقيه**"(١).

المعروف: بـــ"**الإصطخري**"(٢).

و**الإصطخري**: نسبة إلى "إصطخر" بكسر الهمزة وفتح الطاء، وجوَّز بعضهم فتح الهمزة. بلدة معروفة من بلاد فارس. والنسبة إليها: "إصطخري"، و"إصطخرزي"، بزيادة الزاي على غير القياس(٣).

و"إصطخر" الآن تقع في جمهورية إيران، باسم مدينة "استِهْبَان"، وهي مدينة صغيرة تابعة لمحافظة "شيراز"، وبينها وبين "شيراز" ستة وثلاثون (٣٦) ميلاً(٤).

وقد وصف ياقوت الحموي(٥) بلدة إصطخر بأنها: "بلدة بفارس من الإقليم الثالث، طولها تسع وسبعون درجة، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة، وهي من أعيان حصون فارس ومدنها وكُوَرها(٦).

قيل: كان أول من أنشأها إصطخر بن طهمورث، ملك الفرس، وطهمورث عند الفرس بمنزلة آدم.

وأما إصطخر، فمدينة وسطة، وسعتها مقدار ميل، وهي من أقدم مدن فارس وأشهرها، وبها كان مسكن ملك فارس، حتى تحول اردشير إلى جور.

---

(١) انظر: سنن الدارقطني ٢/٢٥٦، ٥٢٣، تهذيب الأسماء ٢/٢٣٧.

(٢) انظر: تاريخ بغداد ٧/٢٦٨، طبقات الشافعية الكبرى ٣/٢٣٠.

(٣) انظر: الأنساب ١/٢٨٥.

(٤) انظر: الروض المعطار ص٤٣، أطلس التاريخ العربي الإسلامي ص١٩، أطلس دول العالم الإسلامي ص٢٤.

(٥) **ياقوت**: أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله الحموي، الرومي، البغدادي، ومن تصانيفه: كتاب "الأدباء"، و"الشعراء المتأخرين والقدماء"، و"معجم البلدان" وغيرها. وكان شاعرا متفننا، جيد الإنشاء. توفي في العشرين من رمضان سنة ٦٢٦هـــ. انظر: سير أعلام النبلاء ٢٢/٣١٢، الأعلام ٨/١٣١.

(٦) الكُورة: جمعها كُوَرٌ، وهي الصُّقْعُ، ويطلق على المدينة. انظر: المصباح المنير ص٢٨٠.

ويقولون: إن كور فارس خمس. وقيل: سبع. أكبرها وأجلُّها كورة إصطخر. وبها كانت قبل الإسلام خزائن الملوك. ويقال: أهل اصطخر أكرم الناس أحسابا، ملوك وأبناء ملوك.

وطول ولايتها اثنا عشر فرسخا في مثلها. والمنسوب إليها جماعة وافرة من أهل العلم منهم: أبو سعيد الحسن بن أحمد بن يزيد بن عيسى بن الفضل الإصطخري"[1].

وممن ينسب إليها أيضاً: أبو سعيد عبد الكريم بن ثابت الإصطخري، ثم الجزري. وأحمد بن الحسين بن داناج أبو العباس الزاهد الإصطخري، سكن مصر. والقاضي أبو محمد، عبد الله بن محمد بن سعيد بن محارب، الأنصاري، الإصطخري، الشافعي. وأبو العباس، أحمد بن جعفر بن يعقوب بن عبد الله الفارسي، الإصطخري، الحنبلي، روى عن الإمام أحمد. وأبو إسحاق، إبراهيم بن محمد الفارسي، الإصطرخي، المعروف بالكرخي، نشأ في اصطخر ونسب إليها، عني بأخبار البلاد، توفي سنة ٣٤٦هـ. ومن مصنفاته: كتاب "صور الأقاليم"، وكتاب: "المسالك والممالك". وغيرهم من العلماء[2].

(١) معجم البلدان ٢١١/١ باختصار.

(٢) انظر: الأنساب ٢٨٥/١، معجم البلدان ٢١٢/١، طبقات الشافعية للإسنوي ٣٨/١، طبقات الحنابلة ٢٤/١.

المطلب الثاني: ولادته.

مولده:

إن كتب التراجم التي اعتنت بتسجيل حياة مترجمنا أبي سعيد الإصطخري، لم تعطنا أي تفصيل عن مكان ولادته ولا نشأته وتربيته وتعليمه، ومن هنا لا نجد أي خبر عن والده وأسرته.

واتفقت المصادر التي ترجمت له على أن مولده سنة أربع وأربعين ومائتين من الهجرة النبوية (٢٤٤هـ) الموافق سنة ٨٥٨م[1].

(١) انظر: الأنساب ٢٨٧/١، المنتظم ٣٠٢/٦، طبقات الشافعية الكبرى ٢٣٠/٣، الأعلام ١٧٩/٢.

المطلب الثالث: صفاته.

لم تُفِدنا مصادر ترجمته بشيء من صفاته الخَلْقية، لذا فلا أستطيع تسجيل أيّ معلومات عنها.

وأما صفاته الخُلُقية، فشأنه شأن العلماء الربانيين الذين يزهدون في متاع الدنيا وزينتها، كما قال النبي ﷺ لعبد الله بن عمر[(١)] رضي الله عنهما: ((كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل))[(٢)].

وكان أبو سعيد الإصطخري يتصف بالورع والزهد، ويتقلّل جداً من الدنيا وزينتها، حتى يقال: إن قميصه، وسراويله، وطيلسانه، من شُقّة[(٣)] واحدة[(٤)]. أي من نوع واحد.

وكان رحمه الله عابداً ناسكا، كثير التعبد لربه جل جلاله، ولم يكتف بالعبادة في المساجد والمصليات أو في بيته، بل يصلي النافلة وهو على بغلته، يدور بين الأزقة في بغداد، حينما تولى منصب الحسبة فيها[(٥)].

ومع هذه الخصال الحميدة، من الورع والزهد، فقد ذكر بعض من ترجم له أن في أخلاقه حِدَّة[(٦)][(٧)].

---

(١) هو: أبو عبد الرحمن، عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، المدني، الصحابي الجليل، أحد الأعلام في العلم، شهد الخندق، وهو من أهل بيعة الرضوان. ولد سنة ثلاث من المبعث النبوي، وتوفي في أول سنة ٧٤هـ. انظر: الاستيعاب ٣٤١/٢، تذكرة الحفاظ ٣٧/١، الإصابة ٣٤٧/٢.

(٢) رواه البخاري في الصحيح، كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، ص١٣٥٦ رقم(٦٤١٦).

(٣) الشُقَّة: جنس من الثياب، وتصغيرها شُقَيقة. وقيل: هي نصف ثوب. انظر: النهاية في غريب الأثر ٨٨٣/١.

(٤) انظر: تاريخ بغداد ٢٦٩/٧، طبقات الشافعية الكبرى ٢٣١/٣.

(٥) انظر: البداية والنهاية ١٩٣/١١.

(٦) الحِدَّة: ما يعتري الإنسان من الغضب. ومنه يقال: حَدَدْتُ على الرجل أَحِدُّ حِدَّةً. انظر: مقاييس اللغة ص٢٢٢، مختار الصحاح ص ١١١، لسان العرب ١٤١/٣.

(٧) انظر: تاريخ بغداد ٢٦٩/٧، طبقات الشافعية للإسنوي ٣٤/١.

وهذه الصفات لا تقدح في مكانة أبي سعيد الإصطخري؛ لأنها من طبيعة كثير من البشر، ينفعل ويغضب، ثم يهدأ. وقد قال عمر بن الخطاب ﷺ: (كنت أُداري من أبي بكر ﷺ بعضَ الحَدِّ)[1].

ولا شك أن المذموم هو من يسترسل مع حِدّته وغضبه حتى يقع إلى شيء لا يحمد عقباه، وحاشا أن يكون هذا من خلق هذا العالم الفاضل.

(١) أثر عمر ﷺ رواه البخاري في الصحيح، باب رجم الحبلى في الزنا إذا أحصنت، ص١٤٣٤ رقم(٦٨٣٠). قال ابن الأثير في النهاية ٣٤٦/١: "الحَدّ والحِدّة سواء: من الغضب، يقال: حَدَّ يَحِدُّ حداً، وحِدَّةً: إذا غضب". وانظر: لسان العرب ١٤١/٣.

وقد رُوي: ((**الحِدة تعتري خيار أمتي**)). قال ابن الجوزي في العلل المتناهية ٧٣٣/٢: "هذا حديث لا يصح، وفيه آفات (سلام الطويل). قال النسائي والدارقطني: متروك. وقال ابن عدي: البلاء في هذا الحديث من الفضل، لا من سلام".

المبحث الثاني: نشأته، وطلبه للعلم، وشيوخه، وأقرانه، وتلاميذه. وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: نشأته وطلبه للعلم.

لم أجد في المصادر التي ترجمت لأبي سعيد الإصطخري واطلعت عليها، ذكر نشأته وأسرته وطلبه للعلم، ورحلاته العلمية، إلا أن المصادر تفيدنا أنه عاش في بغداد، وتوفي ودفن هناك.

و لم أجد –أيضا– فيما اطلعت عليه من مصادر، ما يشير إلى أن أبا سعيد الإصطخري قد طلب العلم في غير بغداد، ولا عجب في ذلك فبغداد قبلة العلوم، وكانت في ذلك الزمان محط أنظار طلاب العلم، إذ كانوا يرتحلون إليها ليتزودوا بشتى أنواع العلوم في مدارسها، وعلى أيدي علمائها، فلا حاجة إذن لترك عاصمة الخلافة والعلم والرحلة إلى غيرها، وإن كانت لا تمنع الرحلة لطلب الزيادة من العلم، خاصة الرحلة في طلب الحديث، كما هو عادة المحدثين في رحلاتهم لطلب الحديث.

وقد وصل أبو سعيد الإصطخري إلى مرتبة رئاسة الشافعية فيها مع ابن سريج، أو بعده –رحمة الله عليهما–، بعد حقبة من الزمان قضاها في طلب العلم على أيدي المشايخ والعلماء الذين سوف أذكرهم في مبحث خاص، وتقلد بعض الوظائف في بغداد وابتُعث إلى غيرها من المدن.

المطلب الثاني: رحلاته.

ليس لدينا تفصيل عن رحلة أبي سعيد الإصطخري، وانتقاله من بلده إلى بلاد أخرى لطلب العلم.

وأما الرحلة العامة، فتفيدنا المصادر أن له بعض الرحلات الوظيفية إلى بعض المناطق، مثل:

١) **سجستان**[١][٢].

٢) **همذان**[٣][٤].

٣) **قم**[٥][٦]. وسوف تأتي قصة رحلته هذه عندما نتكلم عن مناصبه، إن شاء الله.

---

(١) انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٣/٢٣١، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/١٠٩.

(٢) **سِجِسْتَان**: هي ناحية كبيرة، وولاية واسعة، متصلة ببلاد السند والهند. وذهب بعضهم إلى أن سجستان اسم للناحية وأن اسم مدينتها زرنج. قال الإصطخري الرحالي: أرض سجستان سبخة ورمال حارة، بها نخيل، ولا يقع بها الثلج، وهي أرض سهلة لا يرى فيها جبل، وأقرب جبال منها من ناحية فره، وتشتد رياحهم، وتدوم على أنهم قد نصبوا عليها أرحية تدور بها، وتنقل رمالهم من مكان إلى مكان، ولولا أنهم يحتالون فيها لطمست على المدن والقرى. وافتتح سجستان في أيام عمر ﷺ عاصم بن عدي التميمي. وهي تقع في شرق آسيا، وتشمل القسم الأكبر من دولتي أفغانستان وباكستان حاليا. انظر: معجم البلدان ٣/ ١٣٨، ٣/١٩٠، الروض المعطار ص٣٠٤، تهذيب الأسماء ٣/١٥١، معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري ص٢٧٤، المدخل إلى مذهب الإمام الشافعي ص٣٣٨.

(٣) انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٣/٢٣٣.

(٤) **هَمَذَان**: سميت المدينة بهمذان بن الفلوج بن سام بن نوح عليه السلام، وهمذان وأصبهان أخوان، بنى كل واحد منهما بلدة. وذكر أن اسم همذان إنما كان نادمه، ومعناه المحبوبة. فتحت همذان في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من مقتل عمر بن الخطاب ﷺ، وكان الذي فتحها المغيرة بن شعبة في سنة ٢٤هـ. وهي تقع في جمهورية إيران الآن. انظر: معجم البلدان ٥/٤١٠، أطلس دول العالم الإسلامي ص٢٤.

(٥) انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٣/٢٣٠، ٣/٢٣٣، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/١٠٩.

(٦) **قُمّ**: كلمة فارسية، اسم مدينة تذكر مع قاشان، وهي مدينة مستحدثة إسلامية، لا أثر للأعاجم فيها، وأول من مصرها طلحة بن الأحوص الأشعري. قد وصفها الإصطخري بقوله: قُمّ، مدينة ليس عليها سور، وهي خصبة، وماؤهم من الآبار، وهي ملحة في الأصل. قال البلاذري: لما انصرف أبو موسى الأشعري من نهاوند إلى الأهواز فاستقراها، ثم أتى قم فأقام عليها أياما، وافتتحها. وقيل: وجه الأحنف بن قيس فافتتحها عنوة وذلك في سنة ٢٣ للهجرة. وذكر بعضهم: أن قم بين أصبهان وساوة وهي كبيرة حسنة طيبة، وأهلها كلهم شيعة إمامية، وكان بدء تمصيرها في أيام الحجاج بن يوسف سنة ٨٣هـ. من همذان إليها خمسة مراحل، وهي تقع في الجنوب الغربي من جمهورية إيران حاليا. انظر: معجم البلدان ٤/٣٩٧، الروض المعطار ص٤٧٢، المدخل إلى مذهب الإمام الشافعي ص٣٣٨.

المطلب الثالث: شيوخه.

إن الطريقة المتبعة المشهورة عند السلف، تلقي العلم من أفواه الرجال، وعدم الاعتماد على الصحف، ومن ثَمّ كان طلبة العلم يحرصون على حِلق العلماء والإكثار من المشايخ، ولهذا فمن المتوقَّع أن يكون أبو سعيد الإصطخري تلقى العلم عن جملة من المشايخ، لكن المصادر التي بأيدينا لم تذكر سوى عدد قليل منهم.

ومن أبرز شيوخه الذين تتلمذ على أيديهم، أو سمع عنهم الأحاديث:

١) حفص بن عمرو الرَّبالي (ت٢٥٨هـ)[١].

هو: أبو عمر، حفص بن عمرو بن ربال بن إبراهيم بن عجلان، الرقاشي، البصري، المعروف بالربالي. ثقة عابد. سمع يحيى بن سعيد القطان وغيره. وعنه أبو داود وابن ماجة وابن خزيمة وغيرهم. قال ابن أبي حاتم: صدوق. وقال الدارقطني: هو ثقة مأمون. مات في سنة ٢٥٨هـ.[٢].

٢) سَعْدان بن نصر (ت٢٦٥هـ)[٣].

هو: أبو عثمان، سعدان بن نصر بن منصور الثقفي البغدادي، البزاز. وإنما اسمه سعيد، وسعدان لقبه، الشيخ العالم المحدث، سمع سفيان بن عيينة وأبا معاوية ووكيع بن الجراح وغيرهم. قال أبو حاتم: صدوق. وقال الدارقطني: ثقة مأمون. مات في ذي القعدة سنة ٢٦٥هـ. وقد جاوز التسعين[٤].

٣) أحمد بن منصور الرمادي (ت٢٦٥هـ)[٥].

هو: أبو بكر، أحمد بن منصور بن سيار بن معارك الرمادي، البغدادي. الإمام الحافظ

---

(١) انظر: تاريخ بغداد ٢٦٨/٧، طبقات الشافعية الكبرى ٢٣٠/٣.

(٢) انظر: تاريخ بغداد ٢٠٤/٨، تهذيب الكمال ٥٢/٧، تهذيب التهذيب ٤١٤/٢.

(٣) انظر: تاريخ بغداد ٢٦٨/٧، الأنساب ٢٨٦/١، طبقات الشافعية الكبرى ٢٣٠/٣.

(٤) انظر: تاريخ بغداد ٢٠٥/٩، سير أعلام النبلاء ٣٥٧/١٢-٣٥٨.

(٥) انظر: تاريخ بغداد ٢٦٨/٧، الأنساب ٢٨٦/١، طبقات الشافعية الكبرى ٢٣٠/٣.

الضابط. حدث عن عبد الرزاق، وغيره. وحدث عنه ابن ماجة وإسماعيل القاضي وابن أبي الدنيا وغيرهم. وكان من أوعية العلم. قال الدارقطني: هو ثقة. مات الرمادي لأربع بقين من ربيع الآخر سنة ٢٦٥هـ. وقد استكمل ثلاثا وثمانين سنة[١].

٤) **عباس بن محمد الدُّوري** (ت٢٧١هـ)[٢].

هو: أبو الفضل، عباس بن محمد بن حاتم بن واقد، الدوري، ثم البغدادي. الإمام الحافظ، الثقة الناقد، أحد الأثبات المصنفين، ولد سنة ١٨٥هـ. سمع أبا داود الطيالسي وغيره، ولازم يحيى بن معين وتخرج به. حدث عنه أرباب السنن الأربعة، ووثقه النسائي. توفي في صفر سنة ٢٧١هـ. وقد بلغ ثمانيا وثمانين سنة[٣].

٥) **عيسى بن جعفر الوراق** (ت٢٧٢هـ)[٤].

هو: عيسى بن جعفر الوراق البغدادي، الإمام الحجة، الورع، الغازي، فارس الإسلام. سمع الإمام أحمد، وأبا بدر، وشبابة، وعنه المحاملي وابن المنادي وإسماعيل الصفار. توفي في شهر جمادى الآخرة سنة ٢٧٢هـ.[٥].

٦) **حمدان بن علي الوراق** (ت٢٧٢هـ)[٦].

هو: أبو جعفر، محمد بن علي بن عبد الله بن مهران، البغدادي، الوراق، يعرف بحمدان، العبد الصالح، الحافظ المجود، العالم. قال الخطيب: كان فاضلا حافظا ثقة عارفا. وكان من نبلاء أصحاب أحمد. وقال الدارقطني: ثقة. توفي في سنة ٢٧٢هـ[٧].

---

(١) انظر: تاريخ بغداد ١٥١/٥، سير أعلام النبلاء ٣٨٩/١٢-٣٩١، تذكرة الحفاظ ٥٦٤/٢.

(٢) انظر: تاريخ بغداد ٢٦٨/٧، الأنساب ٢٨٦/١، طبقات الشافعية الكبرى ٢٣٠/٣.

(٣) انظر: تاريخ بغداد ١٤٤/١٢، سير أعلام النبلاء ٥٢٢/١٢-٥٢٤، تهذيب التهذيب ١٢٩/٥.

(٤) انظر: تاريخ بغداد ٢٦٨/٧.

(٥) انظر: تاريخ بغداد ١٦٨/١١، سير أعلام النبلاء ١٤٤/١٣، الثقات ٤٩٦/٨.

(٦) انظر: سنن الدارقطني ٣٥٧/١.

(٧) انظر: تاريخ بغداد ٦٢/٣، سير أعلام النبلاء ٤٩/١٣.

٧) حنبل بن إسحاق (ت٢٧٣هـ)[١].

هو: حنبل بن إسحاق بن حنبل بن هلال، أبو علي الشيباني، ابن عم الإمام أحمد وتلميذه. الإمام الحافظ، المحدث. سمع أبا نعيم الفضل بن دكين وغيرهم. وكان ثقة ثبتا. وصنف كتاب التاريخ. مات بواسط، في جمادى الأولى سنة ٢٧٣هـ. وقد قارب الثمانين من عمره[٢].

٨) أحمد بن سعد الزهري (ت٢٧٣هـ)[٣].

هو: أبو إبراهيم، أحمد بن سعد بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، الزهري، العوفي، البغدادي. الإمام الرباني الثقة. كان مذكورا بالعلم والفضل، موصوفا بالصلاح والزهد، ومن أهل بيت كلهم علماء ومحدثون. توفي في شهر المحرم سنة ٢٧٣هـ. وقد بلغ خمسا وسبعين سنة، وكان ميلاده سنة ثمان وتسعين ومائة[٤].

٩) أحمد بن حازم ابن أبي غرزة (ت٢٧٦هـ)[٥].

هو: أحمد بن حازم بن محمد بن يونس بن قيس بن أبي غرزة، أبو عمرو الغفاري، الكوفي، الإمام الحافظ، صاحب المسند، ولد سنة بضع وثمانين ومائة. وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: كان متقنا. توفي في ذي الحجة سنة ٢٧٦هـ.[٦].

---

(١) انظر: تاريخ بغداد ٢٦٨/٧، (وفيه كتب جميل بدل حنبل، وهو خطأ طباعي)، الأنساب ٢٨٦/١، طبقات الشافعية الكبرى ٢٣٠/٣.

(٢) انظر: طبقات الحنابلة ١٤٣/١-١٤٥، تذكرة الحفاظ ٦٠٠/٢، سير أعلام النبلاء ٥٢/١٣.

(٣) انظر: تاريخ بغداد ٢٦٨/٧، الأنساب ٢٨٦/١.

(٤) انظر: تاريخ بغداد ١٨١/٤، طبقات الحنابلة ٤٦/١، سير أعلام النبلاء ١١٧/١٣.

(٥) انظر: تاريخ بغداد ٢٦٨/٧، الأنساب ٢٨٦/١.

(٦) انظر: سير أعلام النبلاء ٢٣٩/١٣-٢٤٠، تذكرة الحفاظ ٥٩٤/٢.

١٠) أبو القاسم الأنماطي (ت٢٨٨هـ)[١].

هو: عثمان بن سعيد بن بشَّار البغدادي الأحول، أبو القاسم، الأنماطي، أحد أئمة الشافعية في عصره. كان إماما عظيما، جليل المرتبة، أخذ الفقه عن المزني والربيع المرادي. وعليه تفقه شيخ المذهب أبو العباس ابن سريج، وأبو سعيد الإصطخري، وأبو علي ابن خيران، ومنصور التميمي، وأبو حفص ابن الوكيل، وهذه الطبقة العليا من عمداء المذهب، وحسبه هذا من المناقب. وكان هو السبب في نشر مذهب الشافعي ببغداد، وكتب كتبه، وتحفَّظه. مات ببغداد في شوال سنة ٢٨٨هـ.[٢].

١١) محمد بن عبد الله بن نوفل[٣].

هو: محمد بن عبد الله بن نوفل، أحد رجال الدارقطني، وهو من شيوخ أبي سعيد الإصطخري، ذكر غير مرة في سنن الدارقطني، ولكن لم أجد ترجمته[٤].

---

(١) انظر: طبقات الفقهاء الشافعية للعبادي ص٥١، طبقات الشافعية الكبرى ٣٠١/٢، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٨٠/١.

(٢) انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٣٠١/٢، طبقات الشافعية للإسنوي ٣٣/١، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٨٠/١، الاجتهاد وطبقات مجتهدي الشافعية ص١٢٠.

(٣) انظر: سنن الدارقطني ٦٥٨/١، التحقيق ٣٥٩/٤، طبقات الشافعية الكبرى ٢٣٠/٣.

(٤) وقد ذكر اسمه الشيخ مقبل الوادعي في كتابه: "تراجم رجال الدارقطني في سننه، الذين لم يترجم لهم في التقريب، ولا في رجال الحاكم" ص٤٠٤ رقم(١٠٢٨)، ولم يشِر إلى أي مصدر لترجمته، والله تعالى أعلم بالصواب.

تنبيه: وهِم بعض محققي السنن، فترجم لهذا الشخص بأنه: "محمد بن عبد الله بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي النوفلي المدني، مقبول، من **الثالثة**". انظر: سنن الدارقطني ٢٠٩/٢، حاشية رقم (٣).

وقد بين الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ منهجه في كتابه "تقريب التهذيب"، ص٨٢: "وذكرت وفاة من عرفت سنة وفاتهم منهم، فإن كان من الأولى والثانية، فهم قبل المائة، وإن كان من الثالثة إلى آخر الثامنة، فهم بعد المائة، وإن كان من التاسعة إلى آخر الطبقات، فهم بعد المائتين، ومن ندر عن ذلك بينته".

المطلب الرابع: أقرانه.

عاش أبو سعيد الإصطخري في عصر مليء بالعلماء الأجلاء، والحفَّاظ المتقنين، وقد سجلت لنا كتب التراجم بعض العلماء الذين عاصرهم أبو سعيد الإصطخري، وقد حصل له مع بعضهم مناظرات[1]، منهم:

١) أبو العباس ابن سريج (ت٣٠٦هـ)[2].

هو: أحمد بن عمر بن سريج، القاضي، أبو العباس، البغدادي، شيخ المذهب وحامل لوائه، وإمام الأصحاب ومقدمهم بعد الذين صحبوا الشافعي. ومن تصانيفه: "الرد على ابن داود في القياس" و"الأقسام والخصال" و"الودائع لمنصوص الشرائع" و"التقريب بين المزني والشافعي"، يقال: إنها بلغت أربعمائة مؤلف. توفي في جمادى الأولى سنة ٣٠٦هـ. وبلغ من العمر ٥٧ سنة، رَحِمَهُ اللَّهُ.[3].

كان أبو سعيد الإصطخري وأبو العباس ابن سريج شيخي الشافعية في بغداد[4]. وكانت بينهما مناظرات، وقد عرف الإصطخري بأنه من نظراء ابن سريج.

---

(١) **المناظرة**: لغة مشتقة من النظر، ومن الانتظار، والنظر بالبصيرة، ومن النظير. والمناظرة: مفاعلة من النظر، وهي أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتُما فيه معاً كيف تأتيانه. والمراد بالنظر هنا: فكر القلب وتأمله في حال المنظور ليعرف حكمه؛ جمعاً، أو فرقاً، أو تقسيما. فالمناظرة في الاصطلاح هي: النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين، اظهاراً للصواب. انظر: القاموس المحيط ص٦٢٣، لسان العرب ٢١٧/٥، التعريفات ص٢٣٢.

وقسَّم العلماء الجدل أو المناظرة إلى قسمين: مذمومة ومحمودة. وقد اهتم العلماء قديما وحديثا بالمناظرة، واتخذوها وسيلة من وسائل التعليم؛ لأن للمناظرة المحمودة فوائد كثيرة، أهما:

١) تمييز الحق من الباطل. ٢) تنشيط الذهن. ٣) مذاكرة العلم. ٤) كف عدوان المبطلين. ٥) شحذ الهمة للاستزادة من العلم. ٦) التدرب على مآخذ الأحكام. ٧) ظهور الدين والإيمان. ٨) التحرر من التقليد. ٩) فهم العلوم. ١٠) إثراء في التأليف. ١١) استخراج الخفي من العلوم. انظر: أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة ص١٧١-١٨٩، منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد ٣٨/١-٤٥.

(٢) انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٢٣٠/٣.

(٣) انظر: تهذيب الأسماء ٢٥١/٢، الفهرست ص٣٥٧، طبقات الشافعية الكبرى ٢١/٣، طبقات الشافعية للإسنوي ٣١٦/١، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٩٠/١.

(٤) طبقات الشافعية للإسنوي ٣٤/١.

قال أبو إسحاق المروزي: "حضر -الإصطخري- يوماً مجلس النظر، مع أبي العباس بن سريج، وتناظرا، وجرى بينهما كلام، فقال له أبو العباس: أنت سئلت عن مسألة، فأخطأت فيها، وأنت رجل كثرة أكل الباقلاّ[1] قد ذهب بدماغك!!.

فقال أبو سعيد في الحال: وأنت كثرة أكل الخلِّ والمُري[2]، قد ذهب بدينك"[3].!!

٢) **ابن حربويه** (ت٣١٩)[4].

هو: أبو عبيد، علي بن الحسين بن حرب بن عيسى البغدادي، ويعرف بابن حربويه. العلامة، المحدث، الفقيه، القاضي. وكان ثقة عالما أمينا، عالما بالقرآن وبالفقه والحديث والاختلاف ووجوه المناظرة واللغة والنحو وأيام الناس، وعاقلا ورعا زاهدا متمكنا. تفقه على أبي ثور، وسمع حفص بن عمرو الربالي، وغيره. توفي في صفر، سنة٣١٩هـ. وصلى عليه أبو سعيد الإصطخري، ودفن في داره[5].

٣) **ابن خيران** (ت٣٢٠هـ)[6].

هو: الحسين بن صالح بن خيران، أبو علي، البغدادي، أحد أئمة المذهب، كان إماماً زاهداً ورعاً تقياً، وكان من أفاضل الشيوخ وأماثل الفقهاء مع حسن المذهب. أراد السلطان أن يوليه القضاء في بغداد، فامتنع واستتر، وسمر بابه لامتناعه بضعة عشر يوماً،

---

(١) **الباقلا**: لغتان: إحداهما: تشديد اللام مع القصر. والثانية: تخفيف اللام مع المد، ويكتب بألف "الباقلاء. لفظ معرب ويقال له: الفول. وهو نبات عشبي معروف يصير حبا. انظر: مختار الصحاح ص٥٢، تحرير ألفاظ التنبيه ص ١٠٩، تنقيح مفردات ابن بيطار ص٥٦.

(٢) **المري**: الذي يؤتدم به، كأنه منسوب إلى المرارة. والعامة تخففه. انظر: مختار الصحاح ص٥٤٦(م ر ر)، لسان العرب ١٧١/٥.

(٣) انظر: تاريخ بغداد ٢٦٩/٧، طبقات الشافعية الكبرى ٢٣١/٣.

(٤) انظر: تاريخ بغداد ٣٩٧/١١، المنتظم ٢٣٨/٦.

(٥) انظر: تاريخ بغداد ٣٩٥/١١، المنتظم ٢٣٨/٦، سير أعلام النبلاء ٥٣٦/١٤، تهذيب التهذيب ٣٠٣/٧. طبقات الشافعية للإسنوي ١٩١/١، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٩٦/١.

(٦) انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٢٣٢/٣.

فصبر على ذلك وأصر على امتناعه حتى أعفي عن تلك المهمة، لما سئل الوزير عن ذلك، فقال: ما أردنا بالشيخ أبي علي إلا خيرا، أردنا أن نعلم أن في مملكتنا رجلا يعرض عليه قضاء القضاة شرقا وغربا، وهو لا يقبل. توفي سنة ٣٢٠هـ.[١].

وكان بين أبي سعيد الإصطخري وابن خيران مساجلة فقهية في قضية سقوط الحمل من المرأة.

أتي أبو سعيد الإصطخري بسقط لم تظهر فيه الصورة والتخطيط للناظر، ولكن قالت القوابل وأهل الخبرة من النساء: إن فيه صورةً خفية، وهى بينة لنا، وإن خفيت على غيرنا. فلم يحكم الإصطخري بثبوت الاستيلاد. فجاءت القوابل فصببن عليه ماء حارا، وغسلنه، فظهرت الصورة.

وحكي أن أبا علي ابن خيران عرضت عليه مضغة ألقتها امرأة فدعا بماء حار وصبه عليها فتبينت منها الخطوط فحكم بأنه ولدها.

والجمع بين القصتين أو الحادثتين هو ما قاله تاج الدين السبكي[٢]: "قد كان ابن خيران معاصراً لأبى سعيد وبلديه، فلعل أبا سعيد لما لم يصغ إلى كلام القوابل رفعت المسألة إلى ابن خيران، فلما تبين الحال رجع أبو سعيد. هذا محتمل، وتكون الواقعة واحدة"[٣].

---

(١) انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٢٧١/٣، طبقات الشافعية للإسنوي ٢٢٢/١، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٩٣/١، العقد المذهب ٣٢(٤٣).

(٢) **تاج الدين السبكي**: أبو نصر، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي بن علي الأنصاري، الخزرجي، السبكي. العلامة، قاضي القضاة. صاحب المصنفات. مولده بالقاهرة سنة ٧٢٧هـ. حضر وسمع بمصر من جماعة، ثم قدم دمشق مع والده في جمادى الآخرة سنة ٧٣٩هـ. وسمع بها من جماعة، واشتغل على والده وعلى غيره، وقرأ على الحافظ المزي ولازم الذهبي وتخرج به. توفي بالطاعون سنة ٧٧١هـ. انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١٠٤/٣.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ٢٣٢/٣.

٤) **أبو علي ابن أبي هريرة** (ت٣٤٥هـ)[١].

هو: الحسن بن الحسين بن أبي هريرة، القاضي، أبو علي، البغدادي. أحد أئمة الشافعية من أصحاب الوجوه، تفقه على ابن سريج، وأبي إسحاق المروزي، وتخرج به فقهاء كبار، كأبي علي الطبري، والدارقطني. انتهت إليه إمامة العراقيين، وكان معظماً عند السلاطين، وولي القضاء. وله "شرح مختصر المزني". مات في بغداد سنة ٣٤٥هـ.[٢].

٥) **أبو بكر ابن الحداد الكناني** (ت٣٤٤، وقيل:٣٤٥هـ)[٣].

هو: محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر بن الحداد المصري، أبو بكر، من كبار أصحاب الوجوه، أخذ الفقه عن أبي إسحاق المروزي، وكان إماما في الفقه والعربية، وانتهت إليه إمامة مصر في عصره، ولي القضاء بمصر. ومن تصانيفه: "الفروع المولدات" وهو مختصر مشهور، واعتنى الأئمة بشرحه. و"الباهر" و"جامع الفقه" و"أدب القضاء" وغيرها. دخل بغداد سنة ٣١٠هـ، وأخذ عن ابن جرير، وشاهد الإصطخري. ولد رحمه الله يوم مات المزني، ومات سنة ٣٤٤هـ أو ٣٤٥هـ.[٤].

٦) **أبو الحسن المحاملي الكبير**[٥].

هو: أبو الحسن المحاملي الكبير، من أقران أبي سعيد الإصطخري وأبي علي بن أبي هريرة. ليس هو جد المحاملي الأخير (أحمد بن محمد ابن المحاملي) بل غيره. وكان معظماً في زمانه، ونقل عنه الأصحاب. وهو القائل بأن من وجد الزاد والراحلة بخراسان يوم عرفة ومات، يقضى عنه الحج[٦].

---

(١) انظر: وفيات الأعيان ٧٤/٢.

(٢) انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٢٥٦/٣، طبقات الشافعية للإسنوي ٢٩١/٢، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١٢٨/١.

(٣) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١٣٠/١.

(٤) انظر: تهذيب الأسماء ١٩٢/٢، تذكرة الحفاظ ٨٩٩/٣، طبقات الشافعية الكبرى ٧٩/٣، طبقات الشافعية للإسنوي ١٩٢/١، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١٣٢/١.

(٥) طبقات الشافعية الكبرى ٢٦٧/٣.

(٦) انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٢٦٧/٣، طبقات الشافعية للإسنوي ٢٠٤/٢، العقد المذهب ص١٨٤، طبقات الشافعية لابن هداية الله ص٢٢٥.

المطلب الخامس: تلاميذه.

كان أبو سعيد الإصطخري إمام الشافعية في العراق، وقاضيها، ومحتسبها، ودرّس في بغداد وتخرج على يديه العديد من طلاب العلم، ومن أبرز هؤلاء الذين ذكرهم لنا المصادر من يلي:

١) **أبو إسحاق المروزي** (ت٣٤٠هـ)[١].

هو: إبراهيم بن أحمد بن إسحاق، تفقه على ابن سريج. قال الإمام النووي: حيث أطلق أبو إسحاق في المذهب فهو المروزي، وهو إمام جماهير أصحابنا، وشيخ المذهب في زمانه، وإليه ينتهي طريقة أصحابنا العراقيين والخراسانيين. ومن تصانيفه: "شرح مختصر المزني". ارتحل إلى مصر في آخر حياته، وتوفى بها سنة ٣٤٠هـ، ودفن عند الشافعي[٢].

٢) **عبيد الفقيه** (ت٣٦٠هـ)[٣].

هو: عُبيد بن عمر بن أحمد بن محمد أبو القاسم القيسي، البغدادي، نزيل قرطبة، وهو المشهور بعبيد الفقيه. أخذ عن الإصطخري. وكان عالماً بالأصول والفروع، وإماماً في القراءات، وصنف فيها، وفي الفقه والفرائض. وكان صاحب الأندلس الملقب بالمستنصر يجله ويعظمه كثيرا. توفى بقرطبة في ذي الحجة سنة ٣٦٠هـ.[٤].

---

(١) انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٢٣٠/٣، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١٠٥/١. وفي تاريخ بغداد ٢٦٩/٧: أبو الحسن المروزي.

(٢) انظر: تهذيب الأسماء ١٧٥/٢، طبقات الشافعية للإسنوي ١٩٧/٢، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١٠٥/١.

(٣) انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٣٤٣/٣، طبقات الشافعية للإسنوي ١٢٥/٢.

(٤) انظر: المصادر نفسها.

٣) **محمد بن المظفر** (ت٣٧٩هـ)[١].

هو: محمد بن المظفر بن موسى بن عيسى بن محمد، أبو الحسين، البغدادي، الشيخ الحافظ، الثقة، محدث العراق، ولد سنة ٢٨٦هـ. قال الخطيب: كان حافظا صادقا. مات يوم الجمعة، في جمادى الأولى، سنة ٣٧٩هـ.[٢].

٤) **أبو حفص ابن شاهين** (ت٣٨٥هـ)[٣].

هو: أبو حفص، عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد البغدادي، الحافظ العالم، محدث العراق، ثقة مأمون. صاحب "التفسير الكبير"، و"الترغيب في فضائل الأعمال[٤]"، و"المسند"، وغيرها. ولد في صفر سنة ٢٩٧هـ ومات في ذي الحجة سنة ٣٨٥هـ[٥].

٥) **الدارقطني** (ت٣٨٥هـ)[٦].

هو: أبو الحسن، علي بن عمر بن أحمد بن مهدي، البغدادي، الإمام، شيخ الإسلام، حافظ الزمان، المقرئ، المحدث. نسبة إلى دار القطن، وكانت محلة كبيرة ببغداد. صاحب المصنفات: "السنن"، و"العلل"، و"الأفراد"، وغيرها. قال الحاكم: صار واحد عصره في الحفظ، والفهم والورع، وإماما في القراءة، والنحو. ولد سنة ٣٠٦هـ. ومات في ثامن ذي القعدة سنة ٣٨٥هـ[٧].

---

(١) انظر: تاريخ بغداد ٢٦٨/٧، الأنساب ٢٨٦/١، طبقات الشافعية الكبرى ٢٣٠/٣.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء ٤١٨/١٦، طبقات الحفاظ ص٣٩٠.

(٣) انظر: تاريخ بغداد ٢٦٨/٧، الأنساب ٢٨٦/١، طبقات الشافعية الكبرى ٢٣٠/٣.

(٤) ومن مروياته: قال: "حدثنا الحسن بن أحمد الإصطخري، قال: قرئ على العباس بن محمد وأنا أسمع، قال: سمعت ابن معين يقول: سمعت وكيعاً يقول: (**من لم يدرك التكبيرة الأولى فلا ترجو خيره**)". قال المحقق: إسناده صحيح، ورجاله كلهم ثقات، وهو خبر مقطوع على وكيع. انظر: الترغيب في فضائل الأعمال ص١٥٨ رقم(١١٠).

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء ٤٣٤/١٦، تذكرة الحفاظ ٩٨٧/٣، طبقات الحفاظ ص٣٩٢.

(٦) انظر: تاريخ بغداد ٢٦٨/٧، الأنساب ٢٨٦/١، طبقات الشافعية الكبرى ٢٣٠/٣.

(٧) انظر: سير أعلام النبلاء ٤٤٩/١٦، تذكرة الحفاظ ٩٩١/٣، طبقات الحفاظ ص٣٩٣، طبقات الشافعية الكبرى ٤٦٢/٣.

وقد روى أبو الحسن الدارقطني عدة آثار عن أبي سعيد الإصطخري في سننه[1].

---

(١) **من مرويات أبي سعيد الإصطخري في سنن الدارقطني:**

١) قال الدارقطني: (وحدثنا أبو سعيد الإصطخري، حدثنا حمدان بن علي، حَدَّثَنَا مُسْلِمٌ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، قَالَ -وَذُكِرَ مَسُّ الإِبْطِ عِنْدَ أَيُّوبَ- فَقَالَ: رُبَّ إِبْطٍ يَنْبَغِي أَنْ يُغْتَسَلَ مِنْهُ!). كتاب الطهارة، باب ما روي في مس الإبط، ٣٥٧/١، رقم(٥٤٣).

٢) قال: (حدثنا أبو سعيد الإصطخري الحسن بن أحمد -من كتابه- حدثنا محمد بن عبد الله بن نوفل، حدثنا أبي، حدثنا حفص بن غياث، عن أبي إسحاق الشيباني، عن جواب التيمي، وإبراهيم بن محمد بن المنتشر، عن الحارث بن سويد عن يزيد بن شريك، أنه سأل عمر عن القراءة خلف الإمام فقال: اقرأ بفاتحة الكتاب. قلت: وإن كنتَ أنتَ؟ قال: وإن كنتُ أنا. قلت: وإن جهرتَ؟ قال: وإن جهرتُ. رواته كلهم ثقات). كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة أم الكتاب في الصلاة وخلف الإمام، ٦٥٨/١ رقم(١١٩٥).

٣) قال: (حدثنا أبو سعيد الإصطخري، حدثنا محمد بن عبد الله بن نوفل، حدثنا عبيد بن يعيش، حدثنا يونس بن بكير، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن محمد بن علي قال: إن لِمَهدِيِّنا آيتين لم تكونا منذ خلق السماوات والأرض، تنكسف القمرُ لأول ليلة من رمضان، وتنكسف الشمس في النصف منه، ولم تكونا منذ خلق الله السماوات والأرض). كتاب العيدين، باب صفة صلاة الخسوف والكسوف وهيئتهما، ٢٠٩/٢ رقم(١٧٧١).

٤) قال: حدثنا أبو سعيد الإصطخري الحسن بن أحمد الفقيه، حدثنا محمد بن عبد الله بن نوفل، حدثنا أبي، حدثنا يونس بن بكير، حدثنا ابن إسحاق، عن المنهال بن الجراح، عن حبيب بن نجيح، عن عبادة بن نُسَيّ، عن معاذ: أن رسول الله ﷺ أمره حين وجهه إلى اليمن: ((أن لا تأخذ من الكسر شيئا، إذا كانت الورق مائتي درهم فخذ منها خمسة دراهم، ولا تأخذ مما زاد شيئا حتى تبلغ أربعين درهما، وإذا بلغ أربعين درهما فخذ منه درهما)). المنهال بن الجراح متروك الحديث، وهو أبو العطوف، واسمه الجراح بن المنهال، وكان ابن إسحاق يقلب اسمه إذا روى عنه، وعبادة بن نُسَي لم يسمع من معاذ). كتاب الزكاة، باب ليس في الكسر شيء، ٢٥٦/٢ رقم(١٨٨٠).

٥) قال: حدثنا أبو سعيد الإصطخري الفقيه، حدثنا أحمد بن سعد الزهري، حدثنا إبراهيم بن عرعرة، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: سمعت سفيان ذكر الحجاج بن أرطاة، فقال: قد كان يطلب، ولكن عطاء عن بن عباس عن النبي ﷺ قال: ((لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشمس)). كتاب الحج، باب المواقيت ٥٢٣/٢ رقم(٢٦٣٨).

٦) **يوسف بن عمر القواس** (ت٣٨٥هـ)[١].

هو: يوسف بن عمر بن مسرور، أبو الفتح، القواس. الإمام القدوة الرباني، المحدث. كان ثقة صالحا صادقا زاهدا، مستجاب الدعوة. ولد سنة ٣٠٠هـ، وتوفي يوم الجمعة لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة ٣٨٥هـ[٢].

٧) **أبو القاسم ابن الثلاج** (ت٣٨٧هـ)[٣].

هو: أبو القاسم، عبد الله بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم، البغدادي، الشاعر، المعروف بابن الثلاج؛ لأن جده أهدى لبعض الخلفاء ثلجاً، فعرف به، أصله من حلوان، الشيخ المسند المحدث. وكان مكثرا، وليس بثقة. وقال الدارقطني: لا يشتغل به، يضع الأحاديث والأسانيد. ولد سنة ٣٠٧هـ. ومات في ربيع الأول سنة ٣٨٧هـ[٤].

٨) **أبو الحسن ابن الجندي** (ت٣٩٦هـ)[٥].

هو: أحمد بن محمد بن عمران بن موسى بن عروة بن الجراح بن علي بن زيد بن بكر بن حريش أبو الحسن النهشلي، ويعرف بابن الجندي. قال الخطيب: وكان يضعف في روايته، ويطعن عليه في مذهبه. سألت الأزهري عن ابن الجندي؟ فقال: ليس بشيء. توفي أبو الحسن في جمادى الآخرة سنة ٣٩٦هـ[٦].

---

(١) انظر: تاريخ بغداد ٢٦٨/٧، الأنساب ٢٨٦/١.

(٢) انظر: تاريخ بغداد ٣٢٥/١٤، سير أعلام النبلاء ٤٧٤/١٦، البداية والنهاية ٣١٩/١١.

(٣) انظر: تاريخ بغداد ٢٦٨/٧.

(٤) انظر: تاريخ بغداد ١٣٦/١٠، سير أعلام النبلاء ٤٦١/١٦، البداية والنهاية ٣٢١/١١.

(٥) انظر: تاريخ بغداد ٢٦٨/٧، الأنساب ٢٨٦/١، طبقات الشافعية الكبرى ٢٣٠/٣.

(٦) انظر: تاريخ بغداد ٧٧/٥، لسان الميزان ٢٨٨/١، ميزان الاعتدال ٢٩٢/١.

٩) **أبو القاسم الدينوري** (ت٣٩٧هـ)[١].

هو: عبد الصمد بن عمر بن محمد بن إسحاق، أبو القاسم، الدينوري، الفقيه الواعظ الزاهد، سمع من أبي بكر النجاد، وتفقه على أبي سعيد الإصطخري. وروى عنه الأزجي، والصيمري. وكان ثقة صالحا، يضرب به المثل في مجاهدة النفس، واستعمال الصدق، والتعفف، والأمر بالمعروف، وحسن وعظه، ووقعه في القلوب. توفى يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذي الحجة سنة ٣٩٧هـ ببغداد.[٢].

(١) انظر: البداية والنهاية ٣٣٧/١١، طبقات الشافعية الكبرى ٣٢٩/٣.

(٢) انظر: البداية والنهاية ٣٣٧/١١، طبقات الشافعية الكبرى ٣٢٩/٣، طبقات الشافعية للإسنوي ٢٥٣/١.

المبحث الثالث: مكانته العلمية، وآثاره العلمية، وعقيدته، ووفاته. وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه.

١) مكانته العلمية:

بلغ أبو سعيد الإصطخري ذروة العلم في الفقه والحديث، وكان من كبار العلماء في زمانه الذين برعوا في الفقه والقضاء والحسبة، حتى عرف بالفقيه، والمحتسب والقاضي. ويدل عليه كثرة نقل العلماء عنه، وهو معدود من شيوخ الشافعية في بغداد في زمانه، بل هو أحد عظماء أصحاب الوجوه في المذهب[١].

وذكرت -فيما مضى- أنه كانت بينه وبين ابن سريج مناظرات، وذلك مما يدل على تمكنه وقدرته على المناظرة، وإلا لم يكن أهلاً للمناظرة؛ إذ ابن سريج رحمه الله كان إماماً مشهوراً في زمانه، وله تلاميذ لا يحصون كثره، وهو شيخ المذهب الشافعي في زمانه، وكان يقال له الباز الأشهب، وعنه انتشر المذهب في معظم بلاد المسلمين، وهو من أوائل الشافعية الذين تولوا القضاء[٢].

قال أبو إسحاق المروزي: "لما دخلت بغداد، لم يكن بها من يستحق أن أدرس عليه، إلا أبو سعيد الإصطخري، وأبو العباس ابن سريج"[٣].

---

(١) أصحاب الوجوه: هم علماء المذهب المنتسبون إلى الإمام الشافعي ومذهبه، ولكن لهم آراء أو اجتهاد خاص استنبطوها على ضوء الأصول العامة للمذهب. انظر: المدخل إلى مذهب الإمام الشافعي ص٥٠٨. وسيأتي تفصيله عند الكلام عن منزلة رأيه الفقهي، إن شاء الله.

(٢) قال ابن الصلاح في أدب المفتي والمستفتي ص٩٣-٩٤: "وحكى اختلافا بين أصحابنا وأصحاب أبي حنيفة في أبي يوسف ومحمد والمزني وابن سريج خاصاً، هل كانوا من المجتهدين المستقلين، أو من المجتهدين في المذاهب؟". وانظر: العقد المذهب ص٣١، المدخل إلى مذهب الإمام الشافعي ص٣٢٧.

(٣) انظر: تاريخ بغداد ٢٦٩/٧، طبقات الشافعية الكبرى ٢٣٠/٣.

قال القاضي أبو الطيب الطبري[1]معلقا على قول أبي إسحاق: "وهذا يدل على أن أبا علي بن خيران لم يكن يقاس بهما"[2].

وقال الطبري: "ما كان أبو إسحاق المروزي يفتي بحضرة الإصطخري إلا بإذنه"[3].

وهذا يدل على علو مترلته ومكانته في أهل زمانه.

غير أنه مهما علت رتبته، وسمت مترلته، فلا يسلم من الخطأ والزلل؛ وقد ذكر الإمام[4] في "النهاية" عند الكلام في الأجير المشترك الإصطخري، وقال: "إنه كثير الهفوات في القواعد"[5].

---

(١) **أبو الطيب الطبري**: طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر، الطبري، من طبرستان، ثم البغدادي، أحد حملة المذهب ورفعائه، من أصحاب الوجوه. تردد اسمه في معظم كتب المذهب. كان حسن الخلق، مليح المزاح والفكاهة. ومن تصانيفه: "شرح مختصر المزني" وهو التعليقة المشهورة، و"شرح فروع ابن الحداد" و"المجرد" و"شرح الكفاية" وغيرها. ولد سنة ٣٤٨هـ، وتوفي سنة ٤٥٠هـ. وهو ابن مائة وسنتين، ولم يختل عقله ولا تغير فهمه رحمه الله. انظر: تهذيب الأسماء ٢٤٧/٢، طبقات الشافعية الكبرى ١٢/٥، طبقات الشافعية للإسنوي ٥٨/٢، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢٣١/١.

(٢) انظر: تاريخ بغداد ٢٦٩/٧، طبقات الشافعية الكبرى ٢٣٠/٣.

(٣) انظر: تاريخ بغداد ٢٧٠/٧، طبقات الشافعية الكبرى ٢٣١/٣.

(٤) **الإمام**: هو أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن عبد الله بن حيُّويه، الجويني، إمام الحرمين، رئيس الشافعية في نيسابور، وأعجوبة دهره وأوانه. ومن تصانيفه: "نهاية المطلب في دراية المذهب"، و"الغياثي"، و"أساليب في الخلاف"، وغيرها. ولد في سنة ٤١٩هـ، وتوفي في سنة ٤٧٨هـ. انظر: طبقات الشافعية الكبرى ١٦٥/٥، طبقات الشافعية للإسنوي ١٩٧/١، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢٦٢/١.

(٥) انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٢٣٢/٣ نقلاً عنه.

٢) ثناء العلماء عليه:

إن العالم إذا عمل بعلمه المستند إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ألقى الله في قلوب الناس حبه وتعظيمه وتوقيره، ولا شك أن أبا سعيد الإصطخري ممن حظي بهذه المنزلة؛ لعلمه وفضله، فقد كان معظماً عند الشافعية وغيرهم، ومما يدل على ذلك أقوال العلماء فيه، وثناؤهم عليه. يتبين ذلك بما يلي من أقوالهم عنه:

١) قال صالح بن أحمد بن محمد الحافظ[١]: "كان -الإصطخري- أحد الفقهاء، مع ما رزق من الديانة والورع، ويدل كتابه الذي ألفه في (القضاء) على سعة فهمه ومعرفته"[٢].

٢) أنشد الإمام علي بن عمر الدارقطني قصيدة من قيله، يمدح فيها الإمام الشافعي وأصحابه، وفيها مدح شيخه أبا سعيد، فقال:

ينهجُ الإصطخري نَهج من مضى - مرتسماً قدَّمه ارتسامه

إذا حوى علماً قناه طبعه - يقبله كأنه طعامه[٣].

وقال الدارقطني عنه: "ثقة"[٤].

---

(١) **صالح الحافظ**: أبو الفضل، صالح بن أحمد بن محمد بن أحمد التميمي، الهمذاني، الحافظ، قدم بغداد وحدث بها. وكان حافظا فهِما ثقة ثبتا. من مصنفاته: "طبقات الهمذانيين"، و"سنن التحديث". وتتناول طبقات رجال الحديث من أهل همذان، والواردين عليها، فذكر كناهم ونسبهم وشيوخهم وتلاميذهم ومكانتهم. توفي في سنة ٣٨٤هـ. انظر: تاريخ بغداد ٣٣١/٩، تذكرة الحفاظ ٩٨٥/٣، موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ص٢٦٧. قلت: ويستفاد من هذا أن أبا سعيد الإصطخري قد وصل إلى همذان كما ذكرنا في رحلاته.

(٢) تاريخ بغداد ٢٦٨/٧-٢٦٩.

(٣) انظر: طبقات الفقهاء الشافعية لابن الصلاح ٥٠٣/٢.

(٤) وذلك بعد روايته عن أبي سعيد الإصطخري ومن بعده، فقال: "رواته كلهم ثقات". سنن الدارقطني، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة أم الكتاب في الصلاة وخلف الإمام، ٦٥٨/١.

٣) قال الشيخ أبو حامد[١]: "كان الإصطخري بصيراً بكتب الشافعية"[٢].

٤) قال ابن النديم[٣]: "وكان رأسا في مذهب الشافعي، وحدَّث، وكان ثقة مستورا، وفقيها مقدما"[٤].

٥) قال الخطيب البغدادي[٥]: "كان الإصطخري أحد الأئمة المذكورين، ومن شيوخ الفقهاء الشافعيين، وكان ورعاً، زاهداً متقللاً"[٦].

---

(١) **الشيخ أبو حامد**: الإمام الجليل، أبو حامد، أحمد بن محمد بن أحمد، الإسفرايني، ويعرف بابن أبي طاهر، من كبار أصحاب الوجوه في المذهب، إمام طريقة العراقيين وشيخ المذهب. وتخرج به خلق لا يحصيهم العادّ. قال النووي: واعلم أن مدار كتب أصحابنا العراقيين، أو جماهيرهم، مع جماعات الخراسانيين على تعليق الشيخ أبي حامد، وهو في نحو خمسين مجلداً، وهو"التعليقة في الفقه على مختصر المزني". ولد سنة ٣٤٤هـ. مات في شوال سنة ٤٠٦هـ. انظر: تهذيب الأسماء ٢٠٨/٢، طبقات الشافعية الكبرى ٦١/٤، طبقات الشافعية للإسنوي ٣٩/١.

(٢) انظر: تهذيب الأسماء واللغات ٢٣٨/٢ نقلاً عن تعليقة الشيخ أبي حامد.

(٣) **ابن النديم**: أبو الفرج، محمد بن إسحاق بن يعقوب. صاحب كتاب "الفهرست" من أقدم كتب التراجم، ومن أفضلها، وكان معتزلياً متشيعا. قال الحافظ ابن حجر: "ولما طالعت كتابه ظهر لي انه رافضي معتزلي؛ فإنه يسمي أهل السنة الحشوية. ويسمي الأشاعرة المجبرة. ويسمي كل من لم يكن شيعيا عاميا. وذكر في ترجمة الشافعي شيئا مختلقا ظاهر الإفتراء. توفي في سنة ٤٣٨هـ. انظر: لسان الميزان ٧٢/٥، الأعلام ٢٩/٦.

(٤) الفهرست ص٣٠٠.

(٥) **الخطيب**: أبو بكر، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، الحافظ، الخطيب البغدادي، أحد حفاظ الحديث وضابطيه المتقنين. ولد سنة ٣٩٢هـ. وتفقه على القاضي أبي الطيب الطبري، وأبي الحسن المحاملي. له مصنفات تزيد على ستين مصنفا، منها: "تاريخ بغداد". توفي في ذي الحجة سنة ٤٦٣هـ. انظر: تذكرة الحفاظ ١١٣٥/٣، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢٤٠/١، طبقات الشافعية لابن هداية الله ص٢٣٥.

(٦) تاريخ بغداد ٢٦٨/٧-٢٦٩.

٦) قال السمعاني[١]: "كان أحد الأئمة المذكورين من شيوخ الفقهاء الشافعيين، ويدل كتابه الذي ألفه على سعة فقهه، ومعرفته" [٢].

٧) قال الإمام النووي[٣]: "أبو سعيد الفقيه، من أصحابنا أصحاب الوجوه، تكرر ذكره في الكتب الكبار"[٤].

٨) قال تاج الدين السبكي: "الإمام الجليل، أحد الرفعاء من أصحاب الوجوه"[٥].

٩) قال الإسنوي[٦]: "كان هو وابن سريج شيخي الشافعية ببغداد"[٧].

---

(١) **السمعاني**: أبو سعد، عبد الكريم بن منصور، السمعاني، المروزي، الشافعي، الشيخ الإمام، العلامة، المفتي، المحدث، الملقب بتاج الإسلام. صاحب التصانيف الكثيرة، منها: "الأنساب"، و"الذيل على تاريخ بغداد". ولد سنة ٥٠٦هـ. توفي في سنة ٥٦٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٠٧/٢٢، طبقات الشافعية للإسنوي ٣٣٧/١، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١٢/٢.

(٢) الأنساب ٢٨٦/١.

(٣) **النووي**، هو: محيى الدين، أبو زكريا، يحيى بن شرف الحِزامي، النووي. وهو محرر المذهب ومهذبه وملقحه ومرتبه. وسار في الآفاق ذكره، وعلا في العالم محله وقدره. صاحب التصانيف المشهورة المباركة النافعة. ولد سنة ٦٣١هـ مات سنة ٦٧٦هـ. رحمه الله تعالى. انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٣٩٥/٨، طبقات الشافعية للإسنوي ٢٦٦/٢، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٩/٢، طبقات الحفاظ ص٥١٣.

(٤) تهذيب الأسماء واللغات ٢٣٧/٢.

(٥) طبقات الشافعية الكبرى ٢٣٠/٣.

(٦) **الإسنوي**: أبو محمد، عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي، جمال الدين، القرشي، الإمام العلامة، صاحب التصانيف المشهورة، منها: "جواهر البحرين في تناقض الحبرين"، و"شرح المنهاج للبيضاوي"، و"طبقات الشافعية"، وغيرها. ولد بإسنا في رجب سنة ٧٠٤هـ. وتوفي في سنة ٧٧٢هـ. انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٩٨/٣، العقد المذهب ص٤١٠.

(٧) طبقات الشافعية للإسنوي ٣٤/١.

١٠) قال الذهبي[١]: "الإمام القدوة، العلامة، شيخ الإسلام، فقيه العراق، ورفيق ابن سريج"[٢].

١١) قال ابن كثير: "أحد أئمة الشافعية، كان زاهداً، ناسكاً، عابداً"[٣].

وقال: "شيخ الشافعية ببغداد، ومحتسبها، ومن أكابر أصحاب الوجوه في المذهب"[٤].

١٢) قال أبو بكر ابن قاضي شهبة[٥]: "شيخ الشافعية ببغداد، ومحتسبها، ومن أكابر أصحاب الوجوه في المذهب، وكان ورعا زاهدا"[٦].

---

(١) **الذهبي**: شمس الدين، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان التركماني، المعروف بالذهبي، حافظ زمانه. ولد بدمشق، وسمع بالشام ومصر والحجاز والإسكندرية. وقرأ القراءاتِ السبعَ. وصنف التصانيف الكثيرة المشهورة. مات بدمشق في سنة ٧٤٨هـ. انظر: طبقات الشافعية للإسنوي ٢٧٣/١، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢٠٨/٢، طبقات الحفاظ ص٥٢١، طبقات الشافعية لابن هداية الله ص٢٣٠.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٥٠/١٥.

(٣) البداية والنهاية ١٩٣/١١.

(٤) طبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير ٢٢٧/١.

(٥) **ابن قاضي شهبة**: أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد، تقي الدين، المعروف بابن قاضي شهبة، الفقيه، المؤرخ. له مصنفات، منها: "شرح التنبيه"، الإعلام بتأريخ الإسلام"، و"طبقات الشافعية"، وغيرها. ولد سنة ٧٧٩هـ بدمشق. وتوفي في سنة ٨٥١هـ. انظر: الضوء اللامع ٢١/١١، الأعلام ٦١/٢.

(٦) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١٠٩/١.

المطلب الثاني: منزلة رأيه الفقهي.

سلك أبو سعيد الإصطخري رحمه الله مسلك العلماء المجتهدين في اختيار الحكم، أو في الترجيح بين الأقوال، ومما يدل على أنه سلك هذا المنهج ما حكى لنا الشيخ أبو إسحاق المروزي بقوله: "سئل يوما أبو سعيد عن المتوفَّى عنها زوجها، إذا كانت حاملاً، هل تجب لها النفقة؟ فقال: نعم. فقيل له: ليس هذا من مذهب الشافعي. فلم يصدق، فأروه كتابه، فلم يرجع، وقال: إن لم يكن مذهبه، فهو مذهب علي وابن عباس[1] رضي الله عنهم"[2].

وكان اعتماده في بعض المسائل على ظاهر السنة، كما في مسألة: حكم من منع فسخ البيع بين صاحب المتاع والمفلس، قال أبو سعيد الإصطخري: ينقض حكمه؛ لأنه حكم مخالف لنص السنة[3].

وفي مسألة: عقد النكاح بغير ولي، وحكم به الحاكم. قال أبو سعيد الإصطخري: إنه ينقض حكمه؛ لأنه مخالف لنص الخبر[4].

وذكر الماوردي[5] حكاية عن الإمام الشافعي رحمه الله وهو يحكي قول ابن أبي ليلى[6]: "وسوى ابن أبي ليلى بين العبد والأمة، أن تضم إلى أمين ثقة يحتاط به حذراً من التعرض لإصابتها.

---

(١) الصحيح أنه مذهب علي رضي الله عنه، وأما ابن عباس رضي الله عنه فيرى عدم النفقة لها، وسيأتي تفصيل هذا القول في مسألة رقم (١٦١).

(٢) انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٣/٢٣١.

(٣) المهذب ٣/٢٥٤.

(٤) المهذب ٤/١١٨. انظر: مسألة رقم(٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤).

(٥) **الماوردي**: أبو الحسن، علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، أحد أئمة أصحاب الوجوه من فقهاء الشافعيين، وكان ثقة، ولي القضاء في بلدان شتى ثم سكن في بغداد. صاحب "الحاوي" و"الإقناع" في الفقه، و"الأحكام السلطانية" وغيرها. توفي في بغداد في ربيع الأول سنة ٤٥٠هـ. انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٥/٢٦٧، طبقات الشافعية للإسنوي ٢/٢٠٦، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/٢٣٥.

(٦) **ابن أبي ليلى**: أبو عبد الرحمن، محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، الأنصاري، الكوفي، العلامة، الإمام، مفتي الكوفة وقاضيها. وتفقه بالشعبي والحكم بن عيينة، وأخذ عنه الفقه سفيان بن سعيد الثوري والحسن بن صالح بن حي. ولد سنة أربع وسبعين، ومات سنة ثمان وأربعين ومائة، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة. انظر: طبقات الفقهاء ص٨٥، سير أعلام النبلاء ٦/٣١٠، طبقات الحفاظ ص٨١.

قال الشافعي رحمه الله [1]: (وهذا استحسان[2]، وليس بقياس[3]).

قال الماوردي: فأخذ بهذا القول أبو سعيد الإصطخري **مذهباً لنفسه**، ولا يصح تخريجه على مذهب؛ لأنه يترك الاستحسان بالقياس[4]، وقد جعله استحساناً"[5].

ومن ناحية أخرى اعتناؤه باللغة العربية، حتى قال: إن التلفظ بالشهادتين لا يصح ممن يحسن العربية إلا بالعربية[6].

هذا، واتفقت المصادر على أن منـــزلة رأيه الفقهي هي منـــزلة آراء "**أصحاب الوجوه**"[7]. وهذه المترلة هي المرتبة الثالثة من مراتب المجتهدين.

---

(١) انظر: الأم ٥٣٤/٧.

(٢) **الاستحسان**: في اللغة: عد الشيء واعتقاده حسناً. واصطلاحا: هو العدول بحكم المسألة عن نظائرها، لدليل خاص من كتاب أو سنة اقتضى هذا العدول. انظر: روضة الناظر ص٨٥، مذكرة أصول الفقه ص١٦٥، معجم مصطلحات أصول الفقه ص٥٢.

(٣) **القياس**: في اللغة: التقدير، ومنه قِست الثوب بالذراع إذا قدرته به، أو قست الجراحة إذا جعلت الميل فيها لتعرف غورها. وفي الشرع: هوحمل فرع على أصل في حكم بجامع بينهما. انظر: روضة الناظر ص ١٤٥، مذكرة أصول الفقه ص٢٩١.

(٤) اختلاف العلماء في **حجية الاستحسان**: قال الحنفية والمالكية والحنابلة ومتأخري الشافعية: الاستحسان حجة شرعية. وأنكر بعض العلماء حجيته، منهم: الإمام الشافعي، قال: "من استحسن فقد شرَّع". والواقع أن الخلاف لفظي؛ لأن الاستحسان الذي انكره الشافعي رحمه الله إنما هو المبني على محض العقل، ومجرد القول بالرأي والتشهي من غير اعتماد على دليل شرعي، وهذا المعنى لم يقل به الحنفية ومن معهم. قال ابن السمعاني في قواطع الأدلة ٢٦٨/٢-٢٧٠: "إن كان الاستحسان هو القول بما استحسنه الإنسان ويشتهيه من غير دليل فهو باطل قطعاً، ولا نظن أن أحدا يقول بذلك". ثم ذكر أن الخلاف لفظي: "واعلم أن مرجع الخلاف معهم في هذه المسألة إلى نفس التسمية، فإن الاستحسان على الوجه الذي ظنه بعض أصحابنا من مذهبهم لا يقولون به، والذي يقولونه لتفسير مذهبهم به: العدول في الحكم من دليل إلى دليل هو أقوى منه. وهذا لا ننكره".
انظر: أصول السرخسي ٢٠٤/٢، المستصفى ص١٧١، الموافقات ٢٠٨/٤، إرشاد الفحول ص ٤٠٢-٤٠٣، أصول الفقه للزحيلي ٧٤٨/٢-٧٥٠.

(٥) الحاوي ٢٢٠/١٦. انظر: بحر المذهب ١١/١٢.

(٦) انظر: الحاوي ٩٦/٢، المجموع ٢٥٩/٣. ســـيأتي تفصيله في مسألة رقم(٢٤).

(٧) انظر: تهذيب الأسماء واللغات ٢٣٧/٢، طبقات الشافعية الكبرى ٢٣٠/٣.

وقد قسَّم العلماء **المجتهدين** إلى خمسة أقسام[1]، وهي: ١- المجتهد المطلق. ٢- المجتهد المنتسب. ٣- مجتهد المذهب. ٤- مجتهد الفتوى والترجيح. ٥- الحافظ للمذهب المفتى به.

الأول: المجتهد المطلق.

وهو الذي يستقل باجتهاده في إدراك الأحكام الشرعية من الأدلة الشرعية، من غير تقليد وتقيّد بمذهب أحد.

ولئن وافق في قاعدته قاعدةَ غيره، أو وافق فرعه فرعَ غيره، فإنما هو من موافقة الاجتهاد للاجتهاد، لا من قبيل التقليد. وهذا هو حال الأئمة المجتهدين المتبوعين، كالأئمة الأربعة وغيرهم[2].

الثاني: المجتهد المنتسب.

وهو الذي بلغ درجة الاجتهاد المطلق، بالأخذ من الأدلة الشرعية، إلا أنه لم يصل لدرجة الاستقلال الكامل في تأصيل الأصول الخاصة به.

فهو لا يكون مقلدا لإمامه، لا في المذهب، ولا في دليله؛ لاتصافه بصفة المستقل، وإنما ينسب إليه لسلوكه طريقة إمامه في الاجتهاد[3].

قال ابن الصلاح[4]: "فتوى المنتسبين في هذه الحالة في حكم فتوى المجتهد المستقل المطلق، يعمل بها ويعتد بها في الإجماع والخلاف"[5].

---

(١) كما قسمه الشيخ أبو عمرو بن الصلاح، وتبعه الإمام النووي وغيره. انظر: أدب المفتي والمستفتي ص٨٦، المجموع ١/٧٥.

(٢) انظر: المصدرين السابقين، الاجتهاد وطبقات مجتهدي الشافعية ص١٦، أصول الفقه للزحيلي ٢/١٠٧٩.

(٣) **ومن هؤلاء** المجتهدين المنتسبين: محمد بن الحسن الشيباني، والقاضي أبو يوسف، وزفر بن الهذيل من الحنفية. وعبد الرحمن بن القاسم المصري، وأشهب بن عبد العزيز العامري من المالكية. وأبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر، ومحمد بن نصر المروزي، ومحمد بن جرير الطبري، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة من الشافعية، ويطلق عليهم بـــ"المحمدين الأربعة". وعمرو بن الحسين الخرقي، وأبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال من الحنابلة. انظر: إعلام الموقعين ٤/٢١٢، الاجتهاد وطبقات مجتهدي الشافعية ص٣٨.

(٤) **ابن الصلاح**: أبو عمرو، عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكردي الشهرزوري الموصلي، الشافعي. الإمام الحافظ، أحد أئمة المسلمين علماً، وديناً، وورعاً. صاحب "علوم الحديث" و"مشكل الوسيط"و"صلة الناسك" وغيرها. ولد سنة ٥٧٧هـــ. وتوفي في دمشق سنة ٦٤٣هـــ. انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٨/٣٢٦، طبقات الشافعية للإسنوي ٢/٤١، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/٤٤٤.

(٥) انظر: أدب المفتي والمستفتي ص٩١، المجموع ١/٧٦، إعلام الموقعين ٤/٢١٣.

الثالث: مجتهد المذهب. (وهو من "**أصحاب الوجوه**" عند الشافعية).

وهو الذي لم يبلغ درجة المجتهد المطلق، ولا درجة المجتهد المنتسب، إلا أنه بلغ من العلم مبلغاً يؤهله أن ينظر في الوقائع، ويخرِّجها على نصوص إمامه، غير أنه لا يتجاوز في أدلته أصول إمامه وقواعده(١).

قال ابن الصلاح: "وهذه صفة أصحابنا أصحاب الوجوه، وعليها كان أئمة أصحابنا أو أكثرهم، والعامل بفتوى هذا مقلد لإمامه لا له...وله أن يفتي فيما لا نص فيه لإمامه، بما يخرِّجه على أصوله"(٢).

ومعنى تخريج الوجوه على النصوص: استنباطها منها، كأن يقيس ما سكت عنه على ما نص عليه؛ لوجود معنى ما نص عليه فيما سكت عنه. سواء نص إمامه على ذلك المعنى، أو استنبطه هو من كلامه، أو يستخرج حكم المسكوت عنه من دخوله تحت عمومٍ ذكرَه، أو قاعدةٍ كرَّرَها.

وقد يخالفون الإمام في بعض الوجوه، ولكن مخالفتهم قليلة، ليست كمخالفة المجتهد المستقل المنتسب للمذهب. وتكون مخالفات أصحاب الوجوه اختيارات خاصة بهم، ولا تنسب للإمام(٣).

وقد اختلف العلماء في القول المخرَّج: هل ينسب إلى الشافعي أم لا؟ قال الإمام النووي: "الأصح: أنه لا ينسب إليه"(٤). ولا يعدُّ وجهاً في المذهب إلا إذا اعتمد على قاعدة أصولية للإمام الشافعي، وإذا كان هذا الاجتهاد الخاص مبنيا على قاعدة أصولية غير القاعدة التي ذكرها الإمام الشافعي، فلا يعتبر هذا الرأي عندنا وجها في المذهب الشافعي(٥).

---

(١) انظر: أدب المفتي والمستفتي ص٩٤، المجموع ٧٦/١، الاجتهاد وطبقات مجتهدي الشافعية ص٤٠.

(٢) أدب المفتي والمستفتي ص٩٤. وانظر: المجموع ٧٦/١، إعلام الموقعين ٢١٣/٤.

(٣) انظر: الاجتهاد وطبقات مجتهدي الشافعية ص٤١-٤٢.

(٤) المجموع ١٠٧/١.

(٥) انظر: التنقيح ٥٦/١، مغني المحتاج ١٢/١، نهاية المحتاج ٤٨/١، تحفة المحتاج ٨٠/١، المدخل إلى مذهب الإمام الشافعي ص٥٠٨.

وهذه التخريجات، وإن كانت لا تنسب للإمام الشافعي -على القول الصحيح- إلا أنها تُعد من المذهب، وتعتبر وجوها فيه، ما دامت مستخرجة على نصوص الإمام وأصوله، ومن قِبل أصحابه ومقلديه[1].

وينقسم مجتهدو المذهب إلى أقسام: بعضهم صحب الشافعي حقيقة، كالبويطي[2]، والمزني[3]، ويونس[4]، والربيع[5]، وغيرهم.

وبعضهم لم يصحبه حقيقة، ولم يتلقَّ عنه، وإنما صحب أصحابه، أو أصحاب أصحابه، كالأنماطي، وابن سريج، **وأبي سعيد الإصطخري**، وابن خيران، وابن أبي هريرة،

---

(١) انظر: طبقات الشافعية الكبرى ١٠٤/٢، الاجتهاد وطبقات مجتهدي الشافعية ص٤٤.

(٢) **البويطي**: الإمام الجليل، أبو يعقوب، يوسف بن يحيى، القرشي مولاهم، البُوَيْطِي، المصري، صاحب الإمام الشافعي، وخليفته من بعده على أصحابه. ثقة فقيه. كان الشافعي يعتمد البويطي في الفتيا، ويحيل عليه إذا جاءته مسألة. وكان الشافعي يقول: ليس أحد أحق بمجلسي من أبي يعقوب، وليس أحد من أصحابي أعلم منه. وله: "المختصر" المشهور الذي اختصره من كلام الشافعي. توفي في شهر رجب سنة ٢٣١ أو ٢٣٢هـ، في سجن بغداد، في القيد والغل. انظر: طبقات الشافعية الكبرى ١٦٢/٢، تقريب التهذيب ص١٠٩٦، طبقات الشافعية للإسنوي ٢٢/١، الفهرست ص٣٥٦.

(٣) **المزني**: أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن عمرو بن إسحاق المزني، ناصر المذهب، من كبار أصحاب الشافعي، ومن مشاهير رواة مذهبه الجديد، صنف كتباً كثيرة، منها: "الجامع الكبير"، "الجامع الصغير"، "المختصر" وغيرها. ولد سنة ١٧٥هـ، وتوفي سنة ٢٦٤هـ. ترجمته في: طبقات الشافعية الكبرى ٩٣/٢، تهذيب الأسماء واللغات ٢٨٥/٢، طبقات الشافعية للإسنوي ٢٨/١.

(٤) هو: يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن ميسرة الصَّدَفي، المصري، صاحب الشافعي، وأحد رواة مذهبه الجديد بمصر، تفقه على الشافعي، وانتهت إليه رياسة العلم بمصر. قال الشافعي: ما رأيت بمصر أحداً أعقل من يونس بن عبد الأعلى. سمع الحديث من ابن عيينة وابن وهب والوليد والشافعي وغيرهم. روى عنه: مسلم والنسائي وابن ماجه وأبو عوانة وخلق. ولد في ذي الحجة سنة ١٧٠هـ، وتوفي في ربيع الآخر سنة ٢٦٤هـ. انظر: تذكرة الحفاظ٥٢٧/٢، تهذيب الأسماء ١٦٨/٢، تهذيب التهذيب ٤٤٠/١١، طبقات الشافعية الكبرى ١٧٠/٢.

(٥) هو: الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي مولاهم، المصري، المؤذن بجامع مصر. صاحب الشافعي وخادمه وراوية كتبه الجديدة، والثقة الثبت فيما يرويه، كان الشافعي يقول: "إنه أحفظ أصحابي". ولو تعارضت روايته مع رواية المزني فإن أصحاب الشافعي يقدمون روايته. ولد سنة ١٧٤هـ، وتوفي بمصر سنة ٢٧٠هـ. انظر: طبقات الشافعية الكبرى ١٣٢/٢-١٣٩، تهذيب الأسماء واللغات ١٨٨/١، طبقات الشافعية للإسنوي ٣٠/١.

والصيرفي[1]، وغيرهم.

وكلهم يطلق عليه اسم "**الصاحب**" تسامحاً، على معنى أنه صاحب في المذهب[2].

الرابع: مجتهد الفتوى والترجيح.

وهو الذي لم يبلغ رتبة أصحاب الوجوه، لكنه فقيه النفس[3]، حافظ مذهب إمامه، عارف بأدلته، قائم بتقريرها، يصور، ويحرر، ويقرر، ويمهد، ويزيف، ويرجح. لكنه قصر عن أولئك لقصوره عنهم في حفظ المذهب، أو الارتياض -الممارسة- في الاستنباط، أو معرفة الأصول ونحوها من أدواتهم[4].

قال ابن الصلاح: "وهذه صفة كثير من المتأخرين -إلى أواخر المائة الرابعة- المصنفين الذين رتبوا المذهب وحرروه، وصنفوا فيه تصانيف فيها معظم اشتغال الناس اليوم، ولم يلحقوا الذين قبلهم في التخريج. وأما فتاويهم فكانوا يتبسطون فيها تبسط أولئك أو قريبا منه، ويقيسون غير المنقول عليه، غير مقتصرين على القياس الجلي، ومنهم من جمعت فتاويه، ولا تبلغ في التحاقها بالمذهب مبلغ فتاوى أصحاب الوجوه"[5].

---

(١) **الصيرفي**: أبو بكر، محمد بن عبد الله البغدادي، المعروف بالصيرفي. كان إماما في الفقه والأصول، تفقه على ابن سريج. ومن مصنفاته: "شرح الرسالة"، و"كتاب في الشروط"، قال الإسنوي: أحسن فيه كل الإحسان. قال القفال الشاشي: كان الصيرفي من أعلم الناس بأصول الفقه بعد الشافعي. توفي في يوم الخميس لثمان من ربيع الآخر سنة ٣٣٠هـ. انظر: طبقات الشافعية للإسنوي ٣٣/٢، طبقات الشافعية لابن هداية الله ص٢٠٢.

(٢) انظر: طبقات الشافعية الكبرى ١٠٤/٢، الاجتهاد وطبقات مجتهدي الشافعية ص٤٦-٤٧.

(٣) **فقيه النفس**: وهو أن يبلغ الإنسان مرحلة من الفهم للنصوص، ودقة الاستنباط منها، وحضور البديهة فيها، القدرة على التمييز بين المتشابه من الفروع، بإبداء الفروق والموانع، والجمع بينها بالعلل والأشباه والنظائر إلى أن يبلغ مرحلة عالية، بحيث تصبح هذه الأمور ملكة قائمة في نفسه، لا يحتاج معها إلى جهد في الوصول إليها. انظر: البرهان في أصول الفقه ١٣٣٢/٢، الاجتهاد وطبقات مجتهدي الشافعية ص١٩.

(٤) انظر: أدب المفتي والمستفتي ص٩٨، المجموع ٧٧/١، الاجتهاد وطبقات مجتهدي الشافعية ص٤٨.

(٥) أدب المفتي والمستفتي ص٩٨، وانظر: المجموع ٧٧/١.

ومن هؤلاء: الإمام الماوردي، والقاضي أبو الطيب الطبري، وإمام الحرمين، وأبو إسحاق الشيرازي[1]، والروياني[2]، وغيرهم.

وممن يُلحق بهذه الطبقة من المجتهدين، الإمامان الكبيران: الرافعي[3]، والنووي، وهما وإن كانا متأخرين إلا أنهما قد أبديا في باب الترجيح، والقدرة على النظر في الوجوه، مما يجعلهما متقدمَين على غيرهما من المتقدمين، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء[4].

الخامس: مجتهد الفتيا. (وهو من حُفاظ المذهب ونقَلَته).

وهو من يقوم بحفظ المذهب، ونقله، وفهمه، في الواضحات والمشكلات، ولكن عنده ضعف في تقرير أدلته وتحرير أقيسته.

قال النووي: "فهذا يعتمد نقله وفتواه به فيما يحكيه من مسطورات مذهبه، من نصوص إمامه، وتفريع المجتهدين في مذهبه"[5].

---

(١) **الشيرازي**: أبو إسحاق، إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز آبادي، الشيرازي، الإمام، شيخ الإسلام علماً وعملاً وزهداً وتصنيفاً. لقبه جمال الإسلام، صاحب "التنبيه" و"المهذب" في الفقه. و"اللمع" و"التبصرة" في أصول الفقه، و"طبقات الفقهاء" وغيرها. ولد سنة ٣٩٣هـ وتوفي سنة ٤٧٦هـ. انظر: تهذيب الأسماء ١٧٢/٢، سير أعلام النبلاء ٤٥٣/١٨، طبقات الشافعية الكبرى ٢١٥/٤، طبقات الشافعية للإسنوي ٧/٢، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢٤٤/١.

(٢) **الروياني**: عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد بن محمد، أبو المحاسن، الروياني، الطبري، قاضي القضاة، صاحب "البحر"، أحد أئمة المذهب، كانت له الوجاهة والرئاسة والقبول التام عند الملوك، فمن دونهم. ومن تصانيفه: "بحر المذهب" و"الكافي" و"الحلية" وغيرها. ولد في ذي الحجة سنة ٤١٥هـ. ومات شهيداً بعد فراغه من الإملاء يوم الجمعة سنة ٥٠٢هـ. قتلته الملاحدة حسداً. انظر: طبقات الشافعية الكبرى ١٩٣/٧، طبقات الشافعية للإسنوي ٢٧٧/١، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢٩٤/١.

(٣) **الرافعي**: أبو القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن الفضل القزويني الرافعي، الإمام البارع المتبحر في المذهب، صاحب "شرح الوجيز" الذي لم يصنف في المذهب مثله، و"الشرح الصغير" و"المحرر" و"شرح المسند" و"التذنيب" وغيرها. توفي حدود سنة ٦٢٣هـ. أو أوائل سنة ٦٢٤هـ. ودفن بقزوين. انظر: تهذيب الأسماء ٢٦٤/٢، طبقات الشافعية للإسنوي ٢٨١/١، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٤٠٧/١.

(٤) انظر: الاجتهاد وطبقات مجتهدي الشافعية ص٤٩.

(٥) المجموع ٧٧/١. وانظر: أدب المفتي والمستفتي ص٩٩، الاجتهاد وطبقات مجتهدي الشافعية ص٥٠.

المطلب الثالث: المناصب التي تولاها.

أولاً: ولاية القضاء.

تقلد أبو سعيد الإصطخري منصب القضاء، وهو منصب عظيم؛ لأن فيه نصرة المظلوم، وأداء الحقّ إلى مستحقّه، وردّ الظالم عن ظلمه، والإصلاح بين الناس، وتخليص بعضهم من بعض، وقطع المنازعات التي هي مادة الفساد. وبالقيام به قامت السماوات والأرض وهو من جملة ما كلّف به الأنبياء والرّسل، قال تعالى : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴿٢٦﴾ ﴾[1].

وقد تولاه النبيّ ﷺ، وهو القائل ﷺ: ((**إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر**)) متفق عليه من حديث عمرو بن العاص[2] ﷺ[3]. وبعث النبي ﷺ عليّاً إلى اليمن قاضياً[4]، وبعث معاذاً[5] أيضاً قاضياً[6]. كما تولاه الخلفاء الراشدون من بعده، وبعثوا القضاة إلى الأمصار.

---

(١) سورة ص، من الآية: ٢٦.

(٢) هو: عمرو بن العاص بن وائل السهمي، أبو عبد الله، ويقال أبو محمد، داهية قريش، ورجل العالم، ومن يضرب به المثل في الفطنة والدهاء والحزم، أسلم عام الحديبية، وولي إمرة مصر مرتين، مات بمصر، سنة نيف وأربعين، وقيل: بعد الخمسين. انظر: الاستيعاب ٥٠٨/٢، سير أعلام النبلاء ٥٤/٣، الإصابة ٢/٣، تقريب التهذيب ص٧٣٨.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، ص١٥٣٩رقم(٧٣٥٢)، صحيح مسلم، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، ١٠٨١/٣ رقم(١٧١٦).

(٤) انظر: سنن أبي داود، كتاب الأقضية، باب كيف القضاء؟ ١١/٤ رقم(٣٥٨٢).

(٥) هو: معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري، الخزرجي، أبو عبد الرحمن، مشهور من أعيان الصحابة، شهد بدراً وما بعدها، وكان إليه المنتهى في العلم والأحكام والقرآن ، مات بالشام سنة ثماني عشرة. انظر: الاستيعاب ٣٥٥/٣، الإصابة ٤٢٦/٣، تقريب التهذيب ص٩٥٠.

(٦) انظر: مسند الإمام أحمد ٣٣٣/٣٦ رقم(٢٢٠٠٧)، وسنن الترمذي، كتاب الأحكام، باب ما جاء في القاضي كيف يقضي ٦١٦/٣ رقم(١٢٣٧).

وقد أسند إلى أبي سعيد الإصطخري ولاية القضاء في بعض المناطق:

١) **ولي قضاء "قُم"**[(١)].

لم أجد -فيما اطلعت عليه من المصادر- تحديد وقت ولايته في هذه المنطقة، ولا مدة تلك الولاية.

ومن أخبار قضائه في قُم:

أنه مات بها رجل، وترك بنتاً وعما، فتحاكموا إلى أبي سعيد الإصطخري في الميراث، فقضى فيه بحكم الله: للبنت النصف، والباقي للعم. فقال أهل قم: لا نرضى بهذا القضاء، أعط البنت المال كله! فقال أبو سعيد الإصطخري: لا يحل هذا في الشريعة. فقالوا: لا نتركك هنا قاضيا! فكانوا يتسورون داره بالليل، ويحولون الأسِرَّة عن أماكنها، وهو لا يشعر. فإذا أصبح تعجب من ذلك، فقال أصحابه: إنهم يُرُونك أنهم إذا قدروا على هذا قدروا على قتلك. فخرج منها أبو سعيد الإصطخري رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال أبو سعيد الإصطخري: وكان مذهبهم مذهب الغُرابية[(٢)]: المال كله للبنت. وهم قوم من شرار الروافض يذهبون إلى هذه المقالة؛ لأجل فاطمة[(٣)] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[(٤)].

---

(١) انظر: تاريخ بغداد ٢٦٨/٧، طبقات الشافعية الكبرى ٢٣٠/٣.

(٢) **الغُرابية**: فرقة من غلاة الروافض، قالوا: محمد ﷺ بعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أشبه من الغراب بالغراب، والذباب بالذباب، فبعث الله جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى علي، فغلط جبرائيل في طريقه فذهب إلى محمد؛ لأنه كان يشبهه، فيلعنون صاحب الريش، يعنون به جبرائيل. انظر: الفرق بين الفرق ص٢٥٠، التعريفات ص١٦٢.

(٣) هي فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ. سيدة نساء هذه الأمة، أم الحسنين، مولدها قبل المبعث بقليل، وتزوجها الإمام علي بن أبي طالب في ذي القعدة أو قبله بقليل من سنة اثنتين بعد وقعة بدر. وقال ابن عبد البر: دخل بها بعد وقعة أحد، فولدت له الحسن والحسين ومحسنا وأم كلثوم وزينب. وماتت بعد النبي ﷺ بستة أشهر، وقد جاوزت العشرين بقليل. انظر: الاستيعاب ٣٧٣/٤، سير أعلام النبلاء ١١٨/٢، الإصابة ٣٧٧/٤، تقريب التهذيب ص١٣٦٧.

(٤) انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٢٣٣/٣.

٢) ولي **قضاء سجستان**[١].

ولايته القضاء في سجستان في خلافة المقتدر بالله، وخلافته ما بين عام ٢٩٥-٣٢٠هـ. كما تقدم ذكره[٢]. ولم تحدد لنا المصادر مدة ولايته فيها أيضاً.

ومن أخبار قضائه في سجستان:

أنه لما ولاه المقتدر قاضياً على سجستان، فسار إليها، ونظر أبو سعيد الإصطخري في مناكحاتهم، فأصاب معظمها مبنياً على غير اعتبار الولي -لعلهم من أتباع المذهب الحنفي- فأنكرها أبو سعيد الإصطخري غاية الإنكار، وأبطلها عن آخرها[٣].

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ٢٥٢/١٥، طبقات الشافعية الكبرى ٢٣١/٣.

(٢) انظر: مبحث عصر الإصطخري السياسي ص٣٧.

(٣) انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٢٣١/٣.

ثانيا: ولاية الحسبة.

ولي الحسبة في "بغداد"[1].

الحسبة: وظيفة دينية خُلُقية أساسها "الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله"[2]. والقائم على هذا المنصب يدعى "المحتسب".

والمحتسب: هو من نصَّبه الإمام أو نائبه، للنظر في أحوال الرعية، والكشف عن أمورهم ومصالحهم، وابتياعهم، ومأكولهم، ومشروبهم، وملبوسهم، ومساكنهم، وطرقاتهم، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر[3].

والحسبة من قواعد الأمور الدينية، وهي واسطة بين أحكام القضاء، وأحكام المظالم، ولم تكن منصباً قضائياً بالمعنى الدقيق لنظر المظالم أو القضاء العادي[4].

وقد كان أئمة الصدر الأول يباشرونها بأنفسهم؛ لعموم صلاحها، وجزيل ثوابها، قال الله تعالى: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾[5].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[6]: "وهذا -الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- واجب على كل مسلم قادر، وهو فرض على الكفاية، ويصير فرض عين على القادر الذي لم يقم به غيره. والقدرة هي السلطة والولاية، فذووا السلطان أقدر من غيرهم، وعليهم

---

(١) انظر: تاريخ بغداد ٢٦٩/٧، طبقات الشافعية الكبرى ٢٣١/٣

(٢) انظر: الأحكام السلطانية ص٢٤٠، الرتبة في طلب الحسبة ص٦٣، معالم القربة ص١٣.

(٣) انظر: الرتبة في طلب الحسبة ص٦٤، معالم القربة ص١٣.

(٤) انظر: الأحكام السلطانية ص٢٤٠، الرتبة في طلب الحسبة ص٦٦، معالم القربة ص١١٤.

(٥) سورة النساء، الآية ١١٤. وانظر: الرتبة في طلب الحسبة ص٦٣، معالم القربة ص١٣.

(٦) **ابن تيمية:** أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني، الدمشقي، تقي الدين، شيخ الإسلام، الإمام العلامة الفقيه المجتهد المفسر الناقد. ومن مصنفاته: "درء تعارض العقل والنقل"، و"منهاج السنة النبوية"، و"اقتضاء الصراط المستقيم"، وغيرها. ولد سنة ٦٦١هـ بحران، وتوفي في سنة ٧٢٨هـ معتقلاً بقلعة الشام للدفاع عن الحق. انظر: تذكرة الحفاظ ١٤٩٧/٤، البداية والنهاية ١٣٥/١٤، طبقات المفسرين للداوودي ٤٦/١.

من الوجوب ما ليس على غيرهم، فإن مناط الوجوب هو القدرة، فيجب على كل إنسان بحسب قدرته، قال الله سبحانه تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾[1]"[2].

ولأجل أن تضمن السلطة تطبيق هذا الفرض، كانت تَعْهد بوظيفة الحسبة إلى أناس أقوياء من سَرَاة[3] القوم. فينظر في أمر الموازين والمكاييل، ويضبط أمور الرعية من الباعة وأصناف السوقة، ولا يمكّنهم من ظلم أحد، ويعاقب من اطلع له على غشّ، وينظر في تنظيف الطرق والأسواق من الأوساخ، وإصلاح القناطير، وفتح المسالك، وحفظ ظواهرها وضواحيها، وأمن مسالكها من القطاع والسراق.

وصار منصب المحتسب في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) من المناصب الهامة في الدولة العباسية. وكان محتسب بغداد في جملة أصحاب المخاطبة المعروفة للكتاب، وتعددت اختصاصاته حتى أصبحت تشتمل الإشراف على سوق الرقيق، ودار الضرب، وإثبات اسم الخليفة على ما يضرب، ذهباً وفضة[4].

تولى أبو سعيد الإصطخري منصب الحسبة في بغداد -فيما يبدو- في نهاية عمره، وقد سجلت كتب التراجم أنه تقلد حسبة بغداد في أيام المقتدر (٢٩٥-٣٢٠هـ)[5]، واستمر إلى أيام الخليفة القاهر بالله حيث استفتى الخليفة محتسب بغداد أبا سعيد الإصطخري في أمر الصابئة، في سنة ٣٢٠هـ الموافق سنة ٩٣٢م[6].

---

(١) سورة التغابن، من الآية: ١٦.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٨/٦٥-٦٦.

(٣) سَرَاةُ: وهو جمع عزيز أن يجمع، فعيل على فعلة ولا يعرف غيره. وسَراة كل شيء أعلاه، وسراة القوم: علية القوم وأشرافهم. انظر: معجم مقاييس اللغة ص٤٩٢، مختار الصحاح ص٢٦١ (س ر ا).

(٤) انظر: أسواق بغداد ص٣١٢-٣١٤.

(٥) انظر: معالم القربة ص٤٢.

(٦) انظر: تاريخ بغداد ٧/٢٦٩، أسواق بغداد ص٣١٤.

ومن أخباره في حسبته:

١- أنه كان يأتي إلى باب القاضي، فإذا لم يجده جالسا يفصِل القضايا، أمَر من يستكشف عنه؛ هل به عذر يمنعه من الجلوس، من أكل، أو شرب، أو حاجة الإنسان، ونحو ذلك؛ فإن لم يجد به عذرا أمره بالجلوس للحكم [١].

٢- ومنها: وجد في بغداد سوق خاصة لبيع النبيذ، ومنهم من يبيع فيها الدواء، فكان الناس يؤمون هذه السوق لشرب النبيذ بحجة شراء الدواء، وهي حجة معروفة عند المحتسب، فقد ذكر أن أبا سعيد الإصطخري قد أزال هذه السوق لَمَّا تقلد حسبة بغداد[٢].

٣- ومنها: أنه أحرق مكان الملاهي -المنكر- من أجل ما يعمل فيه من الملاهي[٣].

وقد أحسن الشيخ أبو سعيد الإصطخري في أداء واجبه في القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى وصف بأنه من أشهر المحتسبين، وكان جريئاً في حسبته، ولا يخاف في الله لومة لائم[٤].

---

(١) انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٢٣٢/٣.

(٢) انظر: معالم القربة ص٤٢، أسواق بغداد ص١٧٥.

(٣) انظر: تاريخ بغداد ٢٦٩/٧، طبقات الشافعية الكبرى ٢٣٢/٣، النجم الوهاج ٣٨٣/٧.

(٤) انظر: تاريخ بغداد ٢٦٩/٧.

المطلب الرابع: آثاره العلمية (مصنفاته).

إن جمع العلم في الكتب ليستفيد منه الناس خصلة درج عليها العلماء، وقد كان أبو سعيد الإصطخري رَحِمَهُ اللَّهُ من العلماء الذين جمعوا بين التعليم والتصنيف، قال القاضي أبو الطيب: "وله تصانيف كثيرة"(١). فاهتم بالتأليف والتصنيف رغم اشتغاله بالقضاء والحسبة، لكنه مع الأسف فقد أضحت تلك المصنفات في عداد المفقود من تراثنا الإسلامي.

ومن أبرز تلك الآثار العلمية التي خلَّفها أبو سعيد الإصطخري رَحِمَهُ اللَّهُ:

١) **كتاب الأقضية، أو أدب القضاء**(٢).

وصف الكتاب:

قال القاضي أبو الطيب: "وله تصانيف كثيرة، فمن ذلك "كتاب أدب القضاء"، ليس لأحد مثله"(٣).

قال أبو إسحاق الشيرازي: "وصنَّف كتاباً حسناً في أدب القضاء"(٤).

وقال الإسنوي معلقاً على ما قاله الشيخ أبو إسحاق: "والكتاب الذي أشار إليه الشيخ قد وقع لي، وهو قليل جداً"(٥).

قال ابن الجوزي(٦): "وله كتاب القضاء، لم يصنف مثله"(٧).

---

(١) انظر: تاريخ بغداد ٢٦٩/٧.

(٢) انظر: وفيات الأعيان ٧٤/٢، كشف الظنون ٤٧/١، ١٣٩٥/٢، هدية العارفين ٢٦٩/١، معجم المؤلفين ٥٣٧/١.

(٣) انظر: تاريخ بغداد ٢٦٩/٧.

(٤) طبقات الفقهاء ص١١٩.

(٥) طبقات الشافعية له ٣٤/١.

(٦) **ابن الجوزي**: جمال الدين، أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي، القرشي، التيمي، البكري، البغدادي، الحنبلي، الشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر، شيخ الإسلام، مفخر العراق، الواعظ، صاحب التصانيف، منها: "زاد المسير في التفسير"، و"المنتظم"، وتلبيس إبليس"، وغيرها. ولد سنة ٥١٩هـ. مات في رمضان سنة ٥٩٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٣٦٥/٢١، تذكرة الحفاظ ١٣٢٤/٤، طبقات المفسرين للداوودي ٢٧٥/١.

(٧) المنتظم ٣٠٢/٦.

قال ابن كثير: "وله كتاب في القضاء، لم يصنف مثله في بابه"[1].

وقد نقل الروياني كثيرا عن هذا الكتاب في كتابه: "بحر المذهب"[2].

وما قيل عن هذا الكتاب "بأنه لم يصنف في باب القضاء مثله" فيه دلالة على سعة علم أبي سعيد الإصطخري في الفقه، وعظيم خبرته في القضاء، وما يتطلب من إجراءات.

ولكن لم أجد أي معلومات عن هذا الكتاب في مصادر المخطوطات التي اطلعت عليها، نسأل الله تعالى أن ييسّر لنا الوقوف عليه، وعلى مصنفات أبي سعيد الإصطخري الأخرى التي سيأتي ذكرها فيما بعد.

٢) **الفرائض الكبير**[3].

لم أجد أي معلومات عن هذا الكتاب.

٣) **الشروط والوثائق والمحاضر والسجلات**[4].[5].

---

(١) البداية والنهاية ٢٠٥/١١، وانظر: طبقات الفقهاء الشافعيين ٢٢٧/١.

(٢) انظر: بحر المذهب ٢١١/١٢، قال: " قال أبو سعيد الإصطخري في "أدب القضاء" مسائل لا يمكن رد اليمين فيها....".

(٣) انظر: الفهرست ص٣٠٠، هدية العارفين ٢٦٩/١، الأعلام ١٧٩/٢.

(٤) انظر: المصادر نفسها.

(٥) **المحضر**: هو حكاية الحال وما جرى بين المتنازعين من دعوى وإقرار وإنكار وبينة ويمين. **السجل**: هو تنفيذ ما ثبت عند القاضي وإمضاء ما حكم به. انظر: الحاوي ٢٠٤/١٦.

وهو علم يبحث فيه عن كيفية سوق الأحكام الشرعية المتعلقة بالمعاملات، في الرقاع والدفاتر؛ ليحتج بها عند الحاجة إليها. وهذا باعتبار لفظه، من فروع علم الإنشاء، وباعتبار مضمونه وفحواه، من فروع علم الفقه. انظر: مفتاح السعادة ٥٥٧/٢.

ولعل كتابه هذا من أوائل المصنفات في موضوع التوثيقات، وأصول المحاكمات في الفقه الإسلامي، لكنه مفقود.

٤) الجامع في الحساب[١].

نسب صاحب "هدية العارفين" هذا الكتاب إلى أبي سعيد الإصطخري، و لم أجد أي معلومات أخرى عنه.

٥) شرح "الجبر والمقابلة" لأبي كامل شجاع[٢].

نسب صاحب "هدية العارفين" هذا الكتاب إلى أبي سعيد الإصطخري، و لم أجد أي معلومات أخرى عنه.

كتاب **"شرح كتاب "المستعمل في الفروع"** لأبي الحسن التميمي.

نسب هذا الكتاب إلى أبي سعيد الإصطخري كل من: صاحب "كشف الظنون"، و"هدية العارفين"، و"معجم المؤلفين"[٣].

وفي طبقات الفقهاء للشيرازي[٤]، وتبعه الإسنوي وابن قاضي شهبة في طبقات الشافعية[٥]، أن مؤلف هذا الكتاب هو أبو محمد الإصطخري[٦]، وليس أبا سعيد الإصطخري.

---

(١) انظر: هدية العارفين ٢٦٩/١.

(٢) انظر: هدية العارفين ٢٦٩/١.

(٣) انظر: كشف الظنون ١٦٧٤/٢، هدية العارفين ٢٦٩/١، معجم المؤلفين ٥٣٧/١.

تنبيه: ذكر في كشف الظنون ١٦٧٤/٢: "شرحه أبو محمد (الحسن بن أحمد) المتوفى سنة ٣٢٨هـ". فخلط بين أبي محمد في الكنية، والحسن بن أحمد، وكلاهما: الإصطخري، وتاريخ الوفاة لأبي سعيد.

(٤) ص١٢٨.

(٥) طبقات الشافعية للإسنوي ٣٨/١، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١٥٨/١.

(٦) هو: عبد الله بن محمد بن سعيد بن محارب، الأنصاري، القاضي، أبو محمد الإصطخري، ولد سنة ٢٩٢هـ. تفقه على القاضي أبي حامد المروذي، وكان قاضي فَسَا، وفقيه فارس، وشرح المستعمل لمنصور التميمي، وسمع بفارس والعراق والحجاز والشام ومصر. قال الشيخ أبو إسحاق: وكان فقيها مجودا. مات سنة ٣٨٤هـ. نقل عنه الرافعي في كتاب السرقة عن "شرح المستعمل" له. انظر: تاريخ بغداد ١٣٣/١٠، طبقات الفقهاء ص١٢٨، لسان الميزان ٣٥١/٣، طبقات الشافعية للإسنوي ٣٨/١، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١٥٨/١.

المطلب الخامس: عقيدته.

الشيخ أبو سعيد الإصطخري رَحِمَهُ اللَّهُ شيخ من شيوخ الإسلام، وإمام من أئمة المسلمين.

وأما منهجه في إثبات عقيدته، فإني لم أجد من تكلم عن هذا الجانب، ولا أجد شيئا يثبت ذلك من خلال دراستي لآرائه الفقهية، وما اطلعت عليها من مصادر ترجمته، سوى ما ذكره أبو عاصم العبادي[1] في طبقاته: "أن أبا سعيد الإصطخري روى بسنده عن الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: "إنما يتكلم في هذا الدين من كان مأموناً على عقيدة هذا الدين"[2].

وما ذكر عن موقفه مع الرافضة في الميراث، كما تقدم[3]. وكذلك موقفه من الصابئة، كما تقدم[4].

وقد أثنى عليه الحافظ شمس الدين الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: "الإمام القدوة، العلامة، شيخ الإسلام"[5]، ولو ظهر له ما يقدح في عقيدته لذكره وما سكت عنه، وأثنى عليه الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ، فهو محمول على السلامة في ذلك، إن شاء الله.

والله تعالى أعلم بالصواب.

---

(١) هو: أبو عاصم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عباد الهروي، العبادي، الإمام القاضي، من مشاهير أصحاب الوجوه، تفقه على الأزدي بهراة، والبسطامي، وأبي إسحاق الاسفراييني، وكان حافظاً للمذهب، مناظراً دقيق النظر، اشتهر بغموض العبارة وتعويص الكلام، وله مؤلفات كثيرة، منها: "الزيادات" و"طبقات الفقهاء" و"أدب القضاء" وغيرها. ولد سنة ٣٧٥هـ وتوفي في شوال سنة ٤٥٨هـ. انظر: تهذيب الأسماء ٢٤٩/٢، طبقات الشافعية الكبرى ١٠٤/٤، طبقات الشافعية للإسنوي ٧٩/٢، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢٣٧/١.

(٢) طبقات الفقهاء الشافعية ص٦٦.

(٣) انظر: مبحث مناصبه ص٩٢.

(٤) انظر: مبحث مناصبه ص٩٥، وسيأتي تفصيل القول عن الصابئة في مسألة رقم(١٨٦).

(٥) سير أعلام النبلاء ٢٥٠/١٥.

المطلب السادس: وفاته.

عاش أبو سعيد الإصطخري أربعة وثمانين (٨٤) عاماً، حافلة بالعطاء، في سبيل نشر العلم، والقضاء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (الحسبة)، رجاء ثواب العلي القدير، ومغفرة الجواد الكريم.

وبعد تلك السنين العامرة، وافت المنية الشيخ أبا سعيد الإصطخري سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة هجرية (٣٢٨هـ) بمدينة السلام (بغداد)، ودفن في باب حرب[١].

وتجمع المصادر التي ترجمت لأبي سعيد الإصطخري فيها أن وفاته كانت في سنة ٣٢٨هـ. الموافق سنة ٩٤٠م.

واختلفت في تحديد اليوم والشهور. والمشهور عند كثير من المترجمين له، أنه توفي في شهر جمادى الآخرة[٢].

وقيل: في يوم الخميس، ودفن يوم الجمعة قبل الصلاة، ثاني عشرة، وقيل: في أربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة. وقيل: إنه توفي في شعبان سنة ثمان وعشرين[٣].

رحم الرحمن أبا سعيد الإصطخري وأسكنه فسيح الجنان، وألحقه بالصديقين والشهداء والصالحين، إنه جواد كريم.

---

(١) انظر: تاريخ بغداد ٢٧٠/٧، الأنساب ٢٨٦/١، طبقات الشافعية الكبرى ٢٣٣/٣.

(٢) انظر: الأنساب ٢٨٥/١، تاريخ الإسلام للذهبي ٢٢٦/٢٤، طبقات الشافعية الكبرى ٢٣٠/٣، الوافي بالوفيات ٢٨٧/١١، النجوم الزاهرة ٣٠٧/٣.

(٣) انظر: تاريخ بغداد ٢٦٩/٧، وفيات الأعيان ٧٥/٢، طبقات الشافعية للإسنوي ٣٤/١.